

al-Dalji, Ahmad ibn 'Alī

al-Falākah

١٥١

الفلاكة ومفلوكات

تأليف الامام العالم العلامة الورع الزاهد

خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا شهاب

الملة والدين احمد ابن علي

الدلجي طاب ثراه

أمين



﴿ طبع على نفقة مكتبة ومطبعة الشعب ﴾



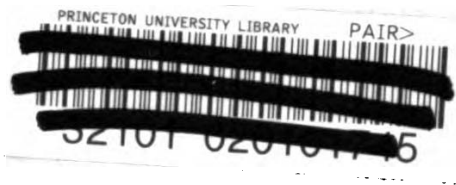
﴿ حقوق الطبع محفوظة لها ﴾



مطبعة الشهابية نيران محمد علي بن محمد

سنة ١٣٢٢ هجرية





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة للناشر

ترتاح القلوب الموحجة والنفوس الالية التي سحقها الدهر بهومه لسماع
انباء امثالهم ممن جافاهم الحظ وصادقهم النكد وسثمت منهم الايام اذ تجدد في
ذلك عزاء لمصابهم وتسلية لاقتدتهم وقد قيل في المثل الذي سار سائرته اذا
عمت المصيبة هانت فصبت نفسى لنشر كتاب في هذا الباب ترتاح اليه النفوس
المنكودة وتجد فيه عزاءها الجميل اذ جمع من نكبهم الفقر المدقع من اماجد
الاكارم وافاضل العلماء ونوابغ الحكماء الذين كانوا غرة في جبين الدهر
وشموساً يستضاء بها في غياهب الجهل وبقيت ماآثرهم على مدى الازمان تنطق
بماشروه من العلوم والفنون

65-14

وقد عثرنا على هذا الكتاب في مكتبة العلامة الفاضل المرحوم الشيخ
احمد الزرقاني وراجعناه على نسخة اخرى من مكتبة صديقي الفاضل احمد

(RECAP)

بك تيمور وصحبه العلامة الفاضل الشيخ عطيه البشارى احد اساتذة المدارس
الاميرية والنايفة الفاضل الشيخ نصر العادلى احد مصححي المطبعة الاميرية
واضافا عليه بعض شروح في المواضع التي يصعب فهمها فأصبح بحمد الله
يختال في ثوب قشيب من الصحة وبهاء الطبع وجودة الورق

وهذا الكتاب الذي وسه صاحبه بهذا الاسم الفارسي (الفلاكة
والمفلوكون) اي الفقر والفقراء وحيد في بابه ولم ينسج تلى منواله لعل فيه
الفقر وذويه تحليلا دقيقا اذ بحث فيه عن معناه واسبابه وعلله وذويه
وحالتهم واورد فيه اشهر من عضهم الفقر بناه واناخ عليهم الدهر بكل كلكه
وما قالوه من رقيق النظم في هذا المعنى مع ترتيبه ترتيبا لطيفا والكتاب يخبر
عن طول باع واضعه في الانشاء والفلسفة والجدل ودقة البحث وسلامة
الذوق

وسنرف لاهل العلم والادب غيره من غرر الكتب وسنوالى طبعها
بدون توان عساني اخطو كغيري خطوة في خدمة العلم واعلاء شأنه والله
اسال ان يهدى لي السبيل ويشجعني باقبال اهل العلم على اقتناء ما اظهره
لهم من جليل الكتب والله يهدي لأقوم سبيل

خايل صادق



فهرست كتاب الفلاكة والمفلوكين

صفحة

- خطبة الكتاب
- ٣ الفصل الاول في تحقيق معني المفلوك
- ٥ الفصل الثاني في خلق الاعمال وما يتعلق به
- ٨ الفصل الثالث في أن التوكل لا ينافي التعلق بالاسباب وان الزهد لا ينافي كون المال في الدين
- ١٤ الفصل الرابع في الآفات التي تنشأ عن الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وثقتضيتها
- ٣٦ الفصل الخامس في أن الفلاكة والاهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك
- ٤١ الفصل السادس في مصير العلوم كالات نفسانية وطاعة من الطاعات ليس الا بعد كونها صناعة من جملة الصناعات وحرقة من الحرف
- ٥٣ الفصل السابع في السبب في غلبة الفلاكة والاهمال والاملاك على نوع الانسان وبيان ذلك
- ٥٦ الفصل الثامن في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية
- ٥٨ الفصل التاسع في أن التماق والخضوع وبسط أعذار الناس والمبالغة في الاعتذار اليهم واظهار حبهم ومناصحتهم من أحسن أحوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضاها الي مقاصدهم و بيان الدليل على ذلك
- ٦١ الفصل العاشر في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل
- ٦٣ ترجمة . القاضي عبد الوهاب
- ٦٤ د ابن مالك
- ٦٤ د النضر بن شميل
- ٦٥ الاخفش الصغير - التلعفري محمد بن يوسف - الترمذي المحدث

- ٦٦ ترجمة يحيى بن على - الابدوردى - الشنترينى
- ٦٧ » الاربلى - السهروردى
- ٦٨ » الحافظ عبد الغنى المقدسى
- ٦٩ » محمد بن عبد الرزاق - الخليل بن احمد
- ٧٠ » أبو الطيب الطبرى - ابو عثمان ربيعة بن ابى عبد الرحمن شيخ مالك بن أنس وهو ربيعة الرأى - المازنى
- ٧١ » السيرافى - نجم الدين ابن أخى ابن خلكان -- الانماطى - بدرالدين بن مالك
- ٧٢ » العفيف التلمسانى - الحريرى
- ٧٣ » الشيرازى - ابن دريد - يحيى بن اكرم
- ٧٤ » بدر الدين محمد بن على بن يوسف بن هود
- ٧٥ » القاضى رفيع الدين - البدر التستري - ابو عبيدة النحوى
- ٧٦ » ابن هانىء - صاعد الربيعى
- ٧٧ » ابن النحاس - ابو الحسن بن صاعد الصدفى - التاج المراكشى - العلم الاصفونى
- ٧٨ » الفخر الفارسى - الشيخ خضر المردى - ابن الخشاب
- ٧٩ » ابن برى - الباجى
- ٨٠ » الحافظ المزى - ابو جعفر النحاس - مروان بن ابى حفصة
- ٨١ » ابن الفقيه الطاهرى - الحسن بن سفيان
- ٨٢ » بشر بن غياث - واصل بن عطاء المعتزلى - ابو حاتم الرازى
- ٨٣ » سيديويه - بن أبى شريك النخعى
- ٨٤ » ابن يونس - ابو بكر النيسابورى
- ٨٥ » شمس الدين التلمسانى - ابن حزم الظاهرى - ابو الحسن على بن بوعث

- ٨٦ ترجمة ابو حاتم السجستاني
- ٨٧ » ابن الجبان الاصفهاني - السهيلي
- ٨٨ » ابن دحية الكلبي - المسعودي
- ٨٩ » الشاطبي - ابن طارق - القاضي الفاضل - محمد بن محمد بن أبي الطاهري الاياري
- ٩٠ » عبد الله بن خلف - شميم الشاعر
- ٩١ » الجزولي
- ٩٢ » التاج الكندي - ياقوت الحموي
- ٩٣ » ابن معطي - الاسفراييني
- ٩٤ » محمد بن نصر الله الكوفي - اليزدي
- ٩٥ » نبطويه - النيسابوري
- ٩٦ » السجزي - ابن نباته
- ٩٨ » الزبيدي - السهروردي
- ٩٩ » الميداني - أبو العلاء الهمزاني
- ١٠٠ » ابن مكتوم
- ١٠١ » ابن خالويه
- ١٠٢ » ابن الجصاص - ابن بتي
- ١٠٣ » ابن نونحت^١ - الصولي - ابن ظفر
- ١٠٤ » ابن السكيت - ابن الثني
- ١٠٥ » ابو سهل الصعلوكي - الغزي
- ١٠٦ » الفارابي
- ١٠٨ » الهروي - ابن فارس اللغوي
- ١٠٩ » جحظة - ابن الحياط

- ١١٠ ترجمة ابن طاهر المقدسى - محمد بن الهبارية
- ١١٢ » ابن المنير - النفيس - أبو الصلت
- ١١٣ » ابو بكر بن العسكري - ابو الحسن الربيعى
- ١١٤ » القالى - البيهقى - الاصطخرى
- ١١٥ » الاسترابادى - أبو هفان النحوي
- ١١٦ » الرياشي - ابن بابشاذ
- ١١٧ » ابن الانبارى - الواحدى - العكبى
- ١١٨ » الحريرى
- ١١٩ » ابن الحجاز
- ١٢٠ » الفصل الحادى عشر فى مباحث تتعلق بالفصل الذى قبله - النواوى -
- السهروردى - الرسخى - أبو اسحاق الخوي
- ١٢٣ » الامام مالك - الامام ابو حنيفة - الامام احمد بن حنبل
- ١٢٤ » البويطى - البخارى
- ١٢٥ » النسائى - ابو عمر الثقفى
- ١٢٦ » ابن الريات - ابن الدهان
- ١٢٧ » ابن عطاء - ابن شينود
- ١٢٨ » ابن مقلة الكاتب
- ١٢٩ » الفصل الثانى عشر فى اشعار المفلوكين ومن فى معناهم وبيان ان الحامل عليها
- انما هو الفلاكة
- ١٤٢ الفصل الثالث عشر فى وصايا يستضاء بها فى ظلمات الفلاكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لمن يستحق الحمد لذاته وهويته . ويستوجب الشكر لكمال الاهيته . وتتقاصر
الاهام عن دقائق اقداره واقضيته . وتحير الافهام في لطائف آلائه ورافته . وتدهش
العقول في كمال مصنوعانه وحكمته . وثقف الافكار حيرى في كبريائه وقاهريته . الخلق
مقهورون محجوجون بساطع حجه . والقلوب في تصرفه يقلبها كيف يشاء على وفق شئسته .
ما من شيء الا وفي خزائنه غير معدوم . وما نزله الا بقدر معلوم . «ألا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين» . على علمه الخير والشر . والنفع والضر . والحركات والسكون .
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كل في فلك يسبحون . جعل لكل أجل كتابا .
والمسببات اسباباً . وربط المسببات بالاسباب وهو خالق الاسباب والمسببات . وأوقع
الشعب عقيب الاكل دائماً على العادة وهو غني عن العادات . وهب العقل فيسره به
سواء السبيل . وركب الخرق (١) فنقص به الحظ من التحصيل . ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها انه على صراط مستقيم . «انما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون» . اغنى
واقني . واضحك وابكى . وامات واحيا . «لا يستل عما يفعل وهم يستلون» . واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو العليم الحكيم . يدخل
من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم أشد عذاب اليم . واشهد ان محمداً عبده ورسوله
الهادى باذنه الى صراط مستقيم . «عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف

(١) الخرق بالضم الحق وان لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الامور . اه من القاموس

رحيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذويه ، وسائر أتباعه وأوليائه ومحبيه . وسلم
تسليماً كثيراً

(وبعد) فقد منحتكم يا معشر اخواني المفاليك كتاباً بديع المثل . منسوجاً على غير
منوال . مخترعاً من غير سابقة مثال . مسلاة (١) وتمثلاً . وحكمة وعلا . تتخذونه مفاكحة
وامثالاً . وتتصرفون به في ظنونكم رداً واعمالاً . وتنزعون به ايديكم من ربة التقليد
انتزاعاً . وترفعون به نحو الاغراض والمقاصد شراعا . وكان المحرك لهذه الكتابة أن
سائلا سأل عن السبب في علية الفلاكة والاهمال على نوع الانسان . فصادف مني
نشاطاً للكلام في ذلك نفثة مصدر . وضربة موتور . وناراً ساكنة أقمها حطبا . ودعوة
واقفت ارادة ومطلباً . وانا اعتذر عما لا يوافق الغرض ولا يصيب الغرض . وعن
استبدال الجوهر بالعرض . بان استكشاف اسرار الدقائق . واستشفاف انوار الحقائق .
مما يتعذر او يتعسر مع العوائق البدنية . والصوارف النفسانية . ولو كان الخاطر صقيلا
باتراً . ومواد الكلام مجرأ زاخراً . فكيف اذا كانت الفكرة كليلة . والبضاعة من العلم
قليلة . والصوارف متناصرة . والبواعث متقاصرة . والشواغل الى حد المنع من معاودة
التنقيح والتهديب . والوقت ضيق عن اختيار الالفاظ وجودة الترتيب . والكتب مفقودة
أو مستعارة . والهجوم تشن غارة بعد غارة . هذا مع ان المخترعات التي لم تسبق بتصنيف
ولا بتدوين وترصيف . لا تبلغ بها الفائدة نصابها . وتفتح للمعاذير ابوابها . ومن الله استمد
العصمة من وصمة الغلط . وغوائل الاوهام وبوادر السقط . وان يوفقنا لاخلاص النية .
واحسان الطوية * ورتبت مقصود هذا الجمع في فصول — الفصل الاول — في تحقيق
معنى المفلوك الذي قصر عليه هذا الكتاب — الفصل الثاني — في خلق الاعمال وبيان
ان لا حجة للمفلوك في التعلق بالقضاء والقدر — الفصل الثالث — في ان اتوكل لا
ينافي التعلق بالاسباب وان الزهد لا ينافي كون المال في اليدين — الفصل الرابع —
في الآفات التي تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها — الفصل الخامس —

(١) هو مفعله من السلوان اى يسليك عن الالتفات الى متاعب هذه الحياة وقوله وتمثلاً في
القاموس تمثل بالشيء ضربه مثلاً والى هذا المعنى والذي قبله يشير قوله تتخذونه الخ

في ان الفلاكة والاهمال الصق باهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك —
الفصل السادس — في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة ليس الا بعد كونها صناعة
من الصنائع وحرقة من الحرف وبيان السبب في ذلك — الفصل السابع — في غلية
الفلاكة والاهمال والاملاق على نوع الانسان وبيان السبب في ذلك — الفصل الثامن —
في ان الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية - الفصل التاسع في ان التملق والخضوع
وبسط اعذار الناس والمبالغة في الاعتذار اليهم واظهار حبهم ومناصحتهم من احسن احوال
المفلوكين واليق الصفات بهم وافضى الطرق بهم الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك —
الفصل العاشر — في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحفظوا منها بطائل —
الفصل الحادى عشر — في مباحث تتعلق بالفصل قبله ومن المباحث النكبات الحاصلة
للأعيان — الفصل الثاني عشر — في اشعار المفلوكين أو من في معنائهم وما فيها من
مقاصد شتى وبيان ان الحامل عليها انما هو الفلاكة — الفصل الثالث عشر — في
وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة نختم به الكتاب

— الفصل الاول —

في تحقيق معنى المفلوك

هذه اللفظة تلقيناها من افاضل العجم ويريدون بها شهادة مواقع الاستعمال
الرجل الغير المحظوظ المهمل في الناس لا ملاقه وفقره وليس في صحاح الجوهري ولا في
القاموس المحيط في هذه المادة ما يصلح لهذا المعنى الا قول صاحب القاموس فلك تفلিকা اذا
لج في الامر فانه يمكن ان يجعل مصححا لهذا الاستعمال. وبيانه ان اللجاج لازم الاملاق فانه
يلزم من الاملاق وعدم الحظ اللجاج فيكون من باب اطلاق اللازم واردة المزموم وهذا
مع ما فيه من التكلف مردود بان فعل تفعيلا لا يصح ان يكون اسم المفعول منه بزنة
مفعول والذي يظهر انه مأخوذ من الفلك الذي هو جسم محيط بالعالم فكأن الفلك
يعارض غير المحظوظ في مراده ويدافعه عنه — فان قيل هذا ناسد لفظا ومعنى أما اللفظ
فلان الفلك اسم جامد لا يصح ان يشتق منه صيغة مفعول ولا يصح اشتقاقه من الفلك

لما فيه من معنى الاستدارة لان الفلاكة بمعنى عدم الحظ ليست من معنى الاستدارة في شئ ولا على المجاز على معنى ان عدم الحظ لما استنزم الحركة والاضطراب والجولان كان اطلاقها وارادته من باب اطلاق اللازم وارادة المزموم لان اللازم لعدم الحظ هو مطلق الحركة والاضطراب لا الحركة المتميدة بالاستدارة وأما المعنى فان اشتقاقه من الفلك على معنى ان الفلك يعارضه في مراده ويدافعه عنه غير مستقيم لما تقرر في الكتب الكلامية ان الله تعالى هو خالق كل شئ — فالجواب عن الاول ان اشتقاق المفلوك من الفلك غير ممتنع فقد قالوا رأسته بمعنى ضربت رأسه ورأيته بمعنى اصبت رثته وابلغ من ذلك اشتقاقهم من الحروف كما في اشتقاق احاشي من حاشي الحرفية الاستثنائية في احد التخرجين في قول من قال * ولا احاشي من الاقوام من احد * وابلغ من ذلك اشتقاقهم من لفظ الجملة كالحوقلة والبسمة والهيلة — وعن الثاني — ان ذلك من قبيل المجاز العقلي وهو نسبة الشئ الى زمانه مجازا تشبيها للتلبس الغير الفاعلي بالتلبس الفاعلي ويشهد لذلك ما قاله العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم «الشؤم في ثلاثة اوان يكن الشؤم في ثلاثة المرأة والدار والفرس» على اختلاف الروايتين جزما وتعليقا من ان ذلك على المجاز والاتساع اى قد يحصل الشؤم مقارنا لها وعندها لانها هي في انفسها مما توجب الشؤم فقد تكون الدار قد قضى الله تعالى ان يميت فيها خلقا من عباده كما يقدر ذلك في البلد بالطاعون والوباء فيضاف ذلك الي المكان مجازا والله خالقهم عنده وقدره فقد صح بهذا التقرير جواز اخذ المفلوك من الفلك على معنى انه الذى يعارضه الفلك في مراده على جهة التجوز ولو سلم ان السعود والنحوس لا تدور مع حركات الافلاك دائماً لم يكن ذلك قادحا في صحة التجوز لان اضافة الفعل الى زمانه مجازا لا تحتاج الي كون القضية دائماً كما في قولهم نهارة صائم وليله قائم وامثاله مما لا يحصى . على انا ننول اللغة اصطلاحية على قول والالفاظ العلمية التي يدير عليها اهل كل علم علمهم كالرفع والنصب للنحاة مثلا اصطلاحية اجماعا ووفقا . ووجه اختيار لفظ الفلاكة على الفاقة والاملاق والفقر ونحوها ان هذه الالفاظ الثلاثة ونحوها نص وصریح في مدلولها بخلاف لفظة الفلاكة والمفلوك فانه يتولد منهما بمعنى القران معان لا تفتق بالمقامات على كثرتها وتفاوتها

الفصل الثاني

في خلق الاعمال وما يتعلق به

أما مذهب امام الحرمين وجمهور الفلاسفة وابي الحسين البصرى من المعتزلة فهو ان الله تعالى يوجد للعبد القدرة والارادة ثم تلك القدرة والارادة يوجبان وجود المقدور ومذهب اكثر المعتزلة ان القدرة الحادثة موجبة لحدوث مقدورها وانه لا تأثير للقدرة القديمة فيه ومذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري وجماعة من اصحابه والقاضى ابي بكر الباقلانى فى احد اقواله والبخار من المعتزلة انه لا تأثير للقدرة الحادثة فى حدوث مقدورها ولا فى صفة من صفاتها وان اجرى الله العادة بخلق مقدورها مقارناً لها فيكون الفعل خلقاً من الله ابداعاً واحداثاً وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته . واختلف فى تفسير الكسب على قولين احدهما ان ذات الفعل تحصل بقدرة الله تعالى وكونه طاعة ومعصية كما فى لطم اليتيم تأديباً وايداء صفات له تابعة لوجوده يحصل بقدرة العبد لان مفهوم الفعل اعم من خصوص كونه قياماً وقموداً وما به التمايز غير ما به الاتحاد فما به التمايز هو الكسب صرح بذلك الابهرى فى شرح المواقف وبعض شراح الطواع ولكن المشهور ايراده مذهباً للقاضى ابي بكر الباقلانى واخذاً من اقواله -- القول الثانى -- وهو المشهور فى تفسير الكسب انه تصميم العزم على الفعل على معنى ان الله تعالى اجرى عادته بان العبد اذا صمم العزم على المعصية يخلق الله تعالى فعل المعصية فيه فالعبد وان لم يكن موجداً الا انه كالموجد . واستدات الاشاعة على مطلوبهم بمسالك كثيرة ضعفاً لا مدى فى ابيكار الافكار ولم يرتض منها الا مسلكين اخصرهما لو كان العبد خالفاً لافعال نفسه للزم وجود خالق غير الله ووجود خالق غير الله محال ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم . واما المعتزلة فاستدلوا على مذهبهم بوجوده كثيرة مرجعها الى امر واحد وهو انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل مدح العباد وذمهم على الطاعات والمعاصى اذ لا يمدح زيد ولا يذم بما ينعله عمرو من طاعة او معصية ولا يرتفع الثواب والعقاب لان العبد اذا لم يكن موجداً لفعله لم يستحق ثواباً ولا عقاباً وكان الله مبتدئاً بالثواب والعقاب من غير استحقاق من العبد لذلك ولو

كان كذلك لجاز عقاب الانبياء وثواب الكفرة الاغبياء ولم يبق لاحد وثوق بعمله ولا يخفى ما في ذلك من تشويش الدين والخطب في الشريعة وايضا لولا الاستقلال لبطل التكليف بالاوامر والنواهي والتأديب لانه اذا لم يكن العبد موجدا لافعاله فكيف يصح عقلا أن يقال انت بفعل الايمان والصلاة والزكاة ولا تأت بالكفر وشرب الخمر والزنا لانه تكليف بما لا يطاق وبطل ايضا فائدة بعث الانبياء وهي دعوة المكلفين الي فعل الطاعات وزجرهم عن المعاصي اذا لم يصدر منهم عمل فيلزم التكليف بما لا يطاق - والجواب بمنع الملازمات - اما في المدح والذم فلانها باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية اذ يجوز ان يمدح الشيء لحسنه وسلامته ويذم لقبحه وعاهته فتمدح الجوهرة لحسنها وصفائها ونقاؤها من العيوب واما الثواب والعقاب فلان عادة الله جارية على خلق الثواب عقيب خلق الطاعات وعلى خلق العقاب عقيب خلق المعاصي لأن العبد يوجد الطاعة والمعصية وهما يوجبانهما كما يخلق الشمع عقيب خلق الاكل والاحترق عقيب مسيس النار وان قدر على ان يخلقها ابتداء. وقولهم لولم يكن الثواب جزاء فعل العبد لجاز عقاب الانبياء وثواب الكفرة قلنا مسلم ولكن جواز تحميله العادة اولا تحمله العادة الاول مسلم والثاني ممنوع فلا يشك في انتفاء ما ذكره وان كان جائزا عقلا واما حديث التكليف والتأديب والبعثة والدعوة فلانها قد تكون دواعي الفعل واجرى الله العادة بترتيب آثارها عليها

وتخليصه ان الاشاعرة لماوردت عليهم هذه الشبهة وراوا أيضا تفرقة بديهية بين ما نزاله من الافعال الاختيارية ومن حركة المسحور على وجه والمرتعش وذادهم ومنعهم البرهان الدال على ان الله خالق كل شيء عن اضافة الفعل الي اختيار العبد مطلقا جمعوا بين الامرين واثبتوا الكسب على التفسيرين السابقين فاما ان يقال كون خصوص الفعل من كونه طاعة ومعصية واقعا بقدرة العبد كاف في تكليفه وتأديبه ودعوته واما ان يقال العبد اذا صمم العزم على المعصية يخلق الله فعل المعصية فيه واذا صمم على الطاعة يخلق الله فعل الطاعة فيه وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وان لم يكن موجدا وهذا انقدر كاف في التكليف والتأديب والدعوة وهذا ايضا مشكل لان الدواعي والتصميم فعل من الافعال مخلوق لله تعالي فلا مدخل للعبد اصلا ووجه الاعتذار عن هذا الاشكال كما

قرره الاصفهاني أن الله تعالى يوجد القدرة والارادة في العبد ويجعلها بحيث لهما مدخل في الفعل لا بان تكون القدرة والارادة لذاتهما اقتضت ان لهما مدخلا في الفعل بل كونهما بحيث لهما مدخل بخلق الله اياها على هذا الوجه ثم يقع الفعل بهما فان جميع المخلوقات يخلق الله بعضها بلا واسطة وبعضها بوساطة اسباب لا بان تكون تلك الوسائط والا سباب لذاتها اقتضت ان يكون لها مدخل في وجود المسببات بل بان خلقها الله تعالى بحيث لها مدخل فتكون الافعال الاختيارية المنسوبة الي العبد مخلوقة لله تعالى أو مقدورة للعبد بقدرة خلقها الله تعالى في العبد وجعلها بحيث لها مدخل في الفعل — والغرض من هذا الفصل اقامة الحجة على المفلوكين وقطع معاذيرهم والجامهم عن التعلق بالقضاء والقدر وانه متى نعت اليهم فلا كتهم او نودي عليهم بها كان ذلك متجها نجيلا لانهم اما فاعلوها استقلالاً او مشاركة واما بالحمية والمدخلة على ماسبق تحقيقه — ولو سلم ان ذلك من باب القضاء والقدر الصريف او فرضت فلا كة سماوية صرفة فكلمات العلماء في مجاري اجاباتهم طافحة بان القضاء والقدر لا يحتج به وذلك لما روى مسلم في صحيحه « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتمع آدم مع موسى فقال له موسى يا آدم انت خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال آدم اتلومني على امر قدره الله عليّ قبل ان يخلفني باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى « قال النووي في شرحه فان قلت فان العاصي منا لو قال هذه المعصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وان كان صادقاً فيما قاله فالجواب ان هذا العاصي باق في دار التكليف جار عليه احكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل وهو محتاج الى الزجر الم يمت فاما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة الى الزجر فلم يكن في القول المذكور له فائدة بل فيه ايذاء وتخجيل انتهى فانظر كيف اعترف بحقيقة السؤال واعتذر في الجواب بان الحديث ليس منه والقضاء والقدر وان لم يحتج به في الدنيا فجاز ان يحتج به الانبياء في الآخرة لعلو مقامهم عن الايذاء والتخجيل واذا ثبت أن القضاء والقدر لا يحتج به في المعاصي فغيرها كذلك اذ لا قائل بالفرق او المقايسة لان العملة التي اقتضت المنع من الاحتجاج بالقدر في المعاصي مطردة في غيرها من اقداره تعالى بالمناسبة والاخالة

الفصل الثالث

(في ان التوكل لا ينافي التعلق بالاسباب وان الزهد لا ينافي كون المال في اليدين)
ومقصود هذا الفصل يحصل بالكلام على مقامين - المقام الاول - مقام التوكل
التوكل في اللغة عبارة عن اظهار العجز والاعتماد على الغير وخص بما يكون الاعتماد فيه على
الله تعالى وفي الاصطلاح عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث
دون اقتصار النظر على الاسباب الطبيعية ودوام حسن الملاحظة بجماع التعلق بالاسباب
ولا ينافيها وحينئذ فحركة العبد بيده او بتدبيره اما جلب نفع كالكسب او حفظه
كالادخار او دفع ضرر كمقاومة الصائل او قطعه كالتداوى فاما جلب المنافع ودفع المضار
ورفعها فافضاء الاسباب اليه امامقطع به وهي الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير
الله تعالى ارتباطاً مطرداً . واما مظنون ظناً يوثق به وهي المسببات التي ارتبطت
بالاسباب ارتباطاً أكثرياً بحيث لا يحصل بدونها الا نادراً واما موهوم وهما لا يوثق به
ولا يطمأن له

فاما المقطوع بافضائه والمظنون افضاؤه من الجلب والدفع والرفع كمد اليد الى الطعام الحاضر
واستصحاب الزاد في السفر في البراري المقفرة والمنتحى عن مجرى السيل وعن مفترس
الاسد وترك النوم تحت الجدار المائل واغلاق الباب وعقل البعير والتداوى بالامور المحرمة
فكل ذلك لا ينافي التوكل واهماله مراغمة لحكمة الله تعالى في نصب الاسباب وعدم
الاكتفا بالقدرة المجردة وجهل بسنة الله وعادته فمن ترك الوقاع ومد اليد الى الطعام
وابلاعه باطباق اعلى الحنك على اسافله وانتظر ان يحصل له ولد كما ولدت مريم عليها
السلام او ان يخلق الله له الشبع بغير اكل او يرسل ملكاً فيمضغه ويدخله فيه فهو محنون
جاهل بالشريعة لان الاكساب لاهياء النفس واجب والاكتساب لنفقة الزوجة والبعض
اصلاً كان او فرعاً في الثالث الصحيح واجب ايضاً ولان اهمال العيال حرام واهلاك
النفس جوعاً حرام واغلاق الباب عليه وسد طريق العلم به وامتحان قدرة الارزاق
حرام وتصبير النفس على الجوع لمن لا تطيق نفسه ذلك وتضرب عليه حرام كما قاله

على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل انتهى وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما اعمل بعيره وقال توكلت على الله اعتملها وتوكل على الله وقال تعالى (خذوا حذرکم) وقال في كيفية صلاة الخوف (ولياخذوا أسلحتهم) وقال (واعدوا لهم ما استطعتم) وقال لموسى (فأسر بعبادى ليلا) والتحصن بالليل لأخفاهم عن عين العدو نوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار عن عين الأعداء للضرر واخذ السلاح في الصلاة سبب مظنون - وأما الموهوم افضاؤه دفعا وتحصيلا كالرقية والسكي والاستقصاء في حيل المعيشة والتدبيرات الدقيقة من وجوه الاكتساب فذلك كله مناف للتوكل لما انه من ثمرات الحرص وحب الدنيا لا لمنافاته التوكل بالذات لأننا قد قدمنا ان التوكل عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث وهذا انما ينافى الاستقصاء وتدقيق التدبير باختلاف اللوازم لا بالذات فينبذ التوكل هو عدم الاعتماد على الاسباب مفضية كانت الى مسبباتها بالقطع ام لا وان يكون الاعتماد على خالقها فان اليد والطعام وقدرة التناول مثلا كلها من قدرة الله تعالى وكيف يتكل على اليد وغيرها وربما تغلج في الحال ويهلك الطعام أو يحدث من تناوله مرض يؤدي الى الهلاك أو يتسلط على زاد المسافر غاصب اوسارق وما شاكل ذلك من الآفات فيجب أن يعتمد على فضل الله تعالى في دفع جميع هذه الاشياء . فقد بان واتضح مما قررناه ان ليس من شرط التوكل ترك الاسباب واطراحها واهمال الكسب بالبدن والتدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة (١) التي او كلحم على وضم فان ذلك كله حرام في الشرع ولن يتقرب الى الله بمحارمه - واما الادخار فما كان منه مع فراغ القلب عن المدخر فليس من ضرورته بطلان التوكل هكذا صرح به في الاحياء واما غيره فمن انزعج قلبه بترك الادخار واضطربت نفسه وتشوشت عليه عبادته وذكره (٢) واستشرف الى

(١) في التماموس التي كالفتي ما طرح اه اي كالخرقة البالية الملقاة وقوله كلحم على وضم الوضم ما وقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير وتركهم لهما على وضم ذلهم واولجهم اه
(٢) استشرف الى الشيء تطلع اليه اه

ما في أيدي الناس فالادخاره اولى لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله ورب
شخص يشغله عنه وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخدور هو الشغل عدماً كان أو
وجوداً فالدينافي عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث صلى الله عليه وسلم
الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون اي اهل الحرف والصنائع فلم يأمر التاجر بترك
تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله
وارشدهم الى ان نجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا فصواب الضعيف ادخار قدر
حاجته كما أن صواب القوي ترك الادخار وكذلك المعيل لا يخرج عن حد التوكل
بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وقد ادخر صلى الله عليه وسلم
لعياله قوت سنته وأما نهى ام أيمن عن ان تدخر شيئاً لغد ونهى بلال عن الادخار في
كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال « انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا »
فلان الادخار يضر بعض الناس دون بعض وكذلك ماروي ابو امامة الباهلي ان بعض
اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم « قتشوا ثوبه فوجدوا
فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان » وقد كان غيره من المسلمين
يموت ويخلف اموالاً كثيرة فلا يقال ذلك في حقه ووجه الجمع بين هذين الامرين ان
اظهار الزهد والفقر والتوكل مع تلك الدنانير تليس - قلت - رأيت في ترجمة النجم
الخبوشاني الامار بالمعروف النهاء عن المنكر للملوك فمن دونهم الذي يضرب به المثل في
الزهد انه لما مات وجدوا له الوف دنانير هذا مع مبالغة المترجمين له في الثناء عليه ومع
ما في ترجمته من انه كان يصوم ويفطر على خبز الشعير ويركب الحمار وآنية بيته كلها
خزف فهذا الكلام مع نبوه عن هذا المقام سهل ذكره ما ذكره العلماء في الجمع بين
حديث الدينارين وعدم انكار الاقوال الكثيرة في ميت آخر وان ذلك لما ان اظهار
الزهد والباطن بخلافه تليس فاعجب لحال الخبوشاني وعجب ولا تغتر

المقام الثاني في أن الزهد لا ينافي كون المال في اليدين - الزهد في اللغة الرغبة
عن الشيء خصص بما يكون الرغبة فيه عن الدنيا وفي الاصطلاح ترك المباح المحبوب
المقدور عليه لاجل الله وفي ضابطه قيود الاول ترك المباح فتارك المحظورات لا يسمى

زاهدا الثاني المحبوب فتارك (١). الايؤبه اليه كالتراب والحجر لا يسمى زاهدا. الثالث كونه لاجل الله فبذل المال وتركه على سبيل السخاء والفتوة واستمالة القلوب والطمع في الثناء لا يكون زهدا اذ الذكر والثناء وميل القلوب هنا من المال فهو استعجال حظ آخر للنفس — الرابع المقدور فمن ترك ما لا يقدر عليه كغير ابن آدم من امثالنا في دعوى الزهد في الملك لا يكون زهدا وفي افراد المباح اشارة الي ان الزهد يتبعض كما ان التوبة تتبعض فمن ترك بعض التمتع من الشهوة والغضب والرياسة دون بعض كان زاهداً. وأما القانع فهو المرجح لوجود المال على عدمه ترجيحاً لا يحمله على الدأب فيه فقوانا المرجح خرج به من لا يجب حصوله ولا يكره زواله وهو الراضي وقوانا ترجيحاً لا يحمله على الدأب فيه خرج به من يتركه عجزاً ويسعى فيه ما وجد سبيلا وهو الحريص وهذه المرتبة وهي مرتبة الحرص وان كانت دنيا فان لها فضلا لدخولها تحت العمومات الواردة في فضل الفقر وذلك جمع بين قوله صلى الله عليه وسلم « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسةائة عام » وبين قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر باربعين خريفاً اي اربعين سنة بان الاول تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب والثاني تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من خمسة وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى الخمسةائة. وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا » فلا يقتضي ان الحريص لا ثواب له على فقره لان العمومات تقتضي ان له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضا الكراهة لفعل الله من حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة لفعله — اذا عرفت تمايز هذه الحقائق بمسمياتها واسماؤها فاعلم ان وجود المال في اليدين لاني القلب ودخول الدنيا على العبد وهو خارج عنها لا ينافي الزهد فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من أحب المدح فكم من الرهابين من رد نفسه في كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازم ديرا لا بابله وانما أعلى المقامات ان يستوي عند القلب وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح ولم يتأذ

(١) في القاموس هو لا يؤبه به اي لا يفتن ولا ينتبه اليه اه والمعني انه لا ينظر اليه ولا يهتم به اه

وكذلك ان فقدته وقد روي عن عائشة انها فرقت في يوم مائة الف درهم فقالت لها جاريته هلا شريت لنا بدرهم لحماً فطر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت وذلك لان الكاره للدينيا (١) مشغول بالدينيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببعض نفسه مشغول عن الله أيضاً بل كل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب وبعضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه به منصرف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه فكما ان النظر الى غير المعشوق بحب شرك كذلك النظر الى غيره ببعض شرك فيه ونقص — واما هروب الانبياء والاولياء والاكابر من الدنيا فذلك لان الدنيا خداعة مدعاة الى الشهوات والراحة في بذلها أنس بغير الله والأنس بغير الله بعد عن الله فالانبياء والاولياء يتركون الدنيا للتشريع والتعليم والخوف على أتباعهم من ان يتشبهوا بهم مع عدم قوتهم فيهلكوا ومن دونهم ممن لا قوة له يترك ذلك احتياطاً وحزماً فان استواء الذهب والحجر في القلب عسير ومزلة قدم وهو حال الانبياء وأفراد الاولياء — ويوضح لك ان المال في اليدين بدون القلب لا ينافي الزهد ان خزائن الأرض حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها. وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وخمسون ومائة الف دينار وترك الف بعير بالبردة وترك صدقات كان يتصدق بها بين اريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار وكان للزبير عند وفاته خمسون الف الف ومائتا الف قال عروة كان للزبير بمصر خطط وبالسكندرية خطط وبالبحرة دور وكانت له غلات تقدم عليه من اعراض المدينة وترك عبد الرحمن بن عوف الف بعير وثلاثة آلاف شاة قال ابن سيرين كان فيما ترك ذهب قطع بالفئوس حتى مجلت ايدي الرجال منه وترك اربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها ثمانين الفاً — قال ابوالاسود عن عروة اوصى عبد الرحمن

(١) اي بكرامتها فهو دائماً يعمل نفسه في التنحي عنها والتخلص منها كما ان الراغب فيها مشغول

بتحصيلها فهو في كلتا الحالتين مشغول بها دفماً وتحصيلاً اه

بن عوف في السبيل بخمسين الف دينار وروى موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابيه قال كان طلحة يغفل بالعراق ما بين اربعمائة الف الى خمسمائة الف ويغفل بالسراة عشرة الاف دينار او اقل أو أكثر وبالاعراض له غلات وكان يرسل الى عائشة اذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف وقضى عن صبيحة التيمي ثلاثين الف درهم وقال الواقدي حدثني اسحق ابن يحيى عن موسى بن طلحة ان معاوية رضى الله عنه سأله كم ترك أبو محمد يعني طلحة من العين قال ترك الف درهم ومائتي الف درهم ومائتي الف دينار - وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والاموال وما ترك من الناض ثلاثين الف الف درهم وترك من العين أني الف ومائتي الف درهم ومائتي الف دينار والباقي عروض - وقال علي بن رباح قال عمرو بن العاص رضى الله عنه حدثت ان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ترك مائة (١) بهار في كل بهار ثلاث قناطير من ذهب قال وسمعت ان البهار جلد ثور والبهار لغة ثلاثمائة رطل قال ذلك كله ابو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي في طبقاته الكبرى - وايضاً كان لسعد بن ابي وقاص والبراء بن معرور السلمى والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمر اموال كثيرة. ويدل على ذلك ان العباس فدى نفسه وابن اخيه عقيلاً بثمانين أوقية ذهباً ويقال الف دينار. وما روى عن عبد الله بن عمران كان اذا رأى من رقيقه امر ايعجبه اعتقه فعرف رقيقه منه ذلك فشمروا للعبادة فاعتقهم فقبل له انهم يخدمونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له . وما روى ان سعد بن ابي وقاص قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت يا رسول الله مال كثير وليس يرثني الا ابني أفاوصى بثلثى مالي قال لا الحديث - فهذا كله مما يدل ان الدنيا ليست مكروهة لعينها والا لامرهم صلى الله عليه وسلم بالانسلاخ من اموالهم - واما المسئلة المشهورة في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر فذهب ابن عطاء الله قدس الله روحه الى تفضيل الغني وخالف في ذلك الجنيد وجمهور الصوفية وما اوردوه عليه من

(١) هو بالضم شئ يوزن به وهو ثلاثمائة رطل او اربعمائة او الف وهو ايضاً العدل فيه اربعمائة رطل انظر القاموس

ان الغنى وصف الحق والفقير وصف العبد وصفات الربوبية لا ينازع فيها معارض بان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد فليكونا أفضل له ثم لا شك ان الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص والغنى المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة الذي تقتضيه الاصول انهما ان تساويا وحصل الرجحان بالعبادات المالية يكون الغنى أفضل ولا شك في ذلك وانما النظر فيما اذا تساويا في اداء الواجب فقط وانفرد كل واحد بمصلحة ما يوفيه فاذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الافضية فان فسر الافضل بزيادة الثواب فالقياس يقتضى ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان كان الافضل بمعنى الأشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذى يحصل للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف فترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر لان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقرا أكثر منه مع الغنى فكان أفضل بمعنى الثرف هكذا قاله ابن دقيق العيد في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء لما شكى له ان الفقراء قالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم الحديث - فقد بان لك واتضح بالكلام في هذين المقامين ان التعلق بالاسباب لا ينافي التوكل وان وجود المال فى اليدىن لا فى القلب لا ينافى الزهد والمقصود الجام المفلوكىن عن التعلق بالزهد او التوكل فى انزوا- الدنيا عنهم جدلا مهما كانوا محتجين لازاهدين حقيقة فان الزاهد حقيقة لا كلام معه لان الزهد كما لا ينافى المال لا يستلزمه وغايته ان الزهد على قسمين قسم مع المال وقسم لا مع المال فلا منافاة ولا استلزام له

❖ الفصل الرابع ❖

فى الآفات التى تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها
وهي أكثر من ان تحصى او يحملها القلم - فمنها - ضيقة العطن (١) والنزق وذلك

(١) هو كناية عن انقباض الصدر والنزق بالتحريك الحقة والطيش عند الغضب اه

ان طبيعة الفرح والسرور هو تفشى الروح الحيوانى وتخلخله وينشأ من ذلك سعة الصدر وقبول النفس لما يرد عليها وانفعالها له ولذلك تتحين اصحاب الحوائج بحوائجهم سرور من يسألونه اياها وطبيعة الكمد والقبض هو تكاثف الروح الحيوانى وتجمعه وينشأ منه ضيقة العطن والنزق وسوء العشرة والانحراف والانكماش عن الخلق - ومنها - ان الفلاكة يلزمها القهر والاكرام ومتى استولى القهر والغلبة على شخص حدثت فيه اخلاق رديئة من الكذب والتخيب وفساد الطوية والخبث والخديعة ولذلك كانت اليهود موصوفين بالخبث والذل والخديعة لاستحكام القهر عليهم وغلبة الاكرام على عامة احوالهم ولذلك ايضا ينهى عن ارهاق الحد على الولدان والعبيد ويؤمر بترويحهم ومد الطول لهم خشية عليهم من اكتساب هذه الاخلاق الذميمة - ارسل هارون الرشيد الى خلف الاحمر لتأديب ولده الامين فقال له ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره فؤاده فكن له حيث وضعك امير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الاخبار ورتوه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وامنعه من الضحك الا في اوقاته ولا تتمرر بك ساعة الا وانت مقتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تحرق به فتميت ذهنه او تهمله فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالتقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة - ومنها الحق وذلك انه اذا استحكت الفلاكة وعرف بها شخص اوسع الناس اغاظة استهوانا به وعدم مبالاة بفضبه وأمناً من غائلته ومغيبته فاذا تواردت موجبات الغضب وازدحمت عليه من توقيفه على نقائصه والاعراض عن كماله وتقريعه بزلاته وتوبيخه على تقصيره وهتك استاره واذا عاين اسراره وجبهه باقبح الكلام في وجهه وعدم اعتباره والمبالغة من عتبه ومعاكسته في مراده او عدم اسعافه به وعجز عن الوقوف في ذلك موقف نكير أو ان ينفس غيظه منه بنقطة مصدور او ضربة مواتور واستبحرت اسباب الغيظ وزخرت امواج العجز عن اطفائه بالانتقام عاد ذلك الى الباطن واجج فيه نارا وتحول حقدًا وضغينة وسخيمة وتعوقه موانع الفلاكة عن اعماله فيصير ألماً صرفاً ووسواساً سوداويًا ومعصية مجردة - ومنها الحسد وتوجيه الفلاكة من وجوه احدها انه اذا توالى مقتضيات الغيظ كما قدمنا وعجز المفلوك عن

الانتقام تحول ذلك حقدا وضغنا كما مر والحقد يقتضى الانتقام فلن عجز أحب ان يتشفى منه بانتقام الزمان له منه وربما يحيل ذلك على كرامته عند الله وربما يظهر أنه لاهنزة له عند الله حيث لم ينتقم منه وبالجملة فالفلاكة يلزمها الاغاظة والاغاظة يلزمها الحقد والحقد يلزمه ارادة الانتقام والعجز عن ذلك يلزمه حب زوال تلك النعمة التي بها التفاوت اللازم منه الاغاظة ولازم لازم الشئ لازم لذلك الشئ - وثانيها ان يثقل على المفلوك ان يترفع عليه غيره فاذا أصاب مساو له في صفات النفس مالا او جاهاً وخاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق ان يتكبر عليه ولا تسمح نفسه باحتال صلفه وتيهه وتفاخره عليه وان يستصغره ويستخدمه وعجز عن زوال الفلاكة عنه والحق به في تلك النعمة احب زوالها عن غيره - وثالثها ما يحدث في نفوس المفلوكين من دعوى الاستحقاق لتلك النعم ولذلك قال ابن مقله

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * في شاخ من عزه المترفع

قلت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

حتى ان من المفلوكين من تنتهى به دعوى الاستحقاق الى حد يرى ان النعم التي بايدى الناس استحقاقه ومغصوبة منه والمالك المستحق طالب لزوال ماله من ايدي الغاصبين لامحاله - ومنها الغيبة والطعن في اعراض الناس والغضب منهم وذلك ان الغضب والحقد والحسد ثلاثتها من البواعث العظيمة على الغيبة اذا امتلأ المفلوك غضباً وحقدا وحسداً وعجز عن الجرى على مقتضاها جهاراً ومواجهة التجأ الى الفكرة والغوص على مساوى خصومه واعمال الحيلة فى الاطلاع على عوراتهم وضم اليها اكاذيب وتنميقاً ونشرها على وجه الغيبة مرة ارادة الترفع بنفسه بسلامته من تلك النقائص او لاتصافه بنقائضها الكمالية على سبيل التعريض كما يقول فلان فاسق او شرير ارادة سلامته من ذلك او فلان جاهل او ذهنه ركيك وكلامه ضعيف تعريضاً باتصافه بنقائض ذلك. ومرة ارادة صرف الناس عن الاسترسال فى تعظيم خصومه وكفهم عن الافراط فى الثناء عليهم ومحبتهم بتوقيفهم على ما يوجب تنقيصهم وصرف القبول عنهم. ومرة بتمهيد عذر نفسه من اتصافه بالمساوى والنقائص بمشاركة العطاء له فى تلك المساوى. ومرة على

سبيل اللذة بالطعن في الاعراض تشفياً بحسب المقدور حتى قال بعض الاعراب لم يبق من لذات الدنيا الا الطعن في اعراض اللثام ثم يعود لسانه هذه المعصية العظيمة حتى تصير له خلقاً وفكاهة وتقلًا ويساعده على ذلك امكانها وتسهيلها وعدم افتقارها الى أدوات وآلات وكونها عبارة عن النطق الذي هو انضغاط الهواء في المجرى على مقاطع الحروف والهواء والتنفس طبيعي للحيوان بخلاف غيرها من المعاصي لتوقفه على أدوات كثيرة. وايضاً فالانسان خلق فعلاً بالطبع كما ذكره الشيخ في الاشارات ولا يتخلف عن مقتضى طبعه من الفاعلية الا لصارف وصاد كما في الافعال الشاقة التي لا يمكن مزاولتها الا بتجشم الكلف والمؤن وكما في الصارف العقلي أو الوهمي من الكلام المضرفهما وجد المقتضى وزال الصارف عن الفعل كما في الكلام عملت الطبيعة عملها ولذلك كان الامتناع من الكلام ولزوم السكوت عسيراً شديداً — ومنها كون الفلاكة غطاءً وستراً على محاسن المفلوك وكالاته النفسانية وأدواته ومعارفه حتى ان الفلاكة تسرى الى نطقه ومصنوعاته ومقاصده فاما ان يغفل عن محاسن كلامه ومقاصده ولا يعبأ بها ويعرض عنها واما ان يصرف كلامه عن ظاهره بوجه من التأويل واما ان لا يفهم مراده منه واما ان يدعى عليه غير مراده واما ان يدعى فساد قصده فيه ولذلك تروج بعض الكتب بنسبتها الى رجل مرهوق بعين الجلالة كما فعل في الورقات حيث نسبت الى امام الحرمين وليست له بشهادة عباراته الفاتحة الرائقة في باقى كتبه ومخالفة الورقات لما في البرهان في التصحيح والحكم وكما فعل في السر المكنون وفي المضمون به على غير اهله حيث نسبت الى الغزالي كما قاله الاسنوى في الطبقات ولساله كما ذكره في الطبقات ولذلك ايضا تجدد البحث النفيس يلقيه الباحث بين الافاضل فيبادرونه بالانكار والتزيف والمناقشة ويضايقونه فيه حتى يقول لهم هذا البحث قاله الامام فخر الدين الرازي او الزمخشري مثلاً او من في معناهما فيخينئذ يرجعون الى ذلك البحث بالتأويل والتثبت ويعترفون بحسنه وربما يزيدونه توجيهاً وتقريراً. ولكون الفلاكة غطاءً وستراً على المحاسن تجدد الشهرة والصيت والسمعة يقعن في غير موقعها غالباً فرب شخص مشهور بالعلم أو الصلاح وليس هناك ورب شخص قعدت عنه الشهرة وهو أحق

بها وذلك لان الفلاكة متى زالت عن شخص تزلف اليه بالثناء عليه ونشر المحاسن عنه وحمل كلامه وفعله من المحاسن والمقاصد الجميلة فوق طاقته ونناقلته الالسنه تزلفا اليه لما يعلمون من ان النفوس مجبولة على حب الثناء ووقعت المحاباة والانغماض عن احواله المدخولة وافرغت في قوالب جميلة بالتأويل والاعتذار وجاءت المغالطات بالتليس والتصنع فيطير ذكره في الآفاق وتسير به الركبان ويجيء الصيت والشهرة وليس هناك . وعلى الجملة فالشهرة انما تقع في غير موقعها من جهة ما يطرق الاخبار من التزلف بالثناء الكاذب او ما يطرق الاحوال من الخفاء وعدم تطبيقها على الواقع خلفاها بالتليس والتصنع فنتشر على خلاف ماهي عليه . وانت خبير بأن التزلف بالثناء انما يكون للاغنياء او من في معانهم وان الانغماض عن التليس والتصنع وعدم كشف الغطاء عنه انما يكون لهم أيضا واعتبر العكس بالعكس - ومنها ان الفلاكة مها استولت على عالم او فاضل او نبيه لزمه بسببها آلام عقلية ولاشك ان الألم العقلي أقوى من الألم الجسماني ولذلك يكون التعب القلبي اشد انها كأ للبدن من التعب الجسماني ولذلك يتحمل عظيم المشاق البدنية خوفاً من العتب والتوبيخ والملامة والتفريع كما ان اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية والدليل على ذلك من ثلاثة اوجه - اولها ان اللذة عبارة عن ادراك الملامم وكلما كان الادراك اشد والمدرك اشرف كانت اللذة أتم لكن الادراك العقلي أقوى من الجسمي لانه ينفذ في باطن الشيء فيميز بين الماهية واجزائها وعوارضها وجنسها وفصلها وأما الحسي فلا شعوره الا بظاهر المحسوس وسطوحه ومدرك العقل اشرف وهو الله تعالى وصفاته وملائكته وكيفية وضع العالم ومدرك الحس السطوح وعوارضه واذا كان كذلك وجب كون اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية - وثانيها أنا نعلم بالضرورة ان احوال الملائكة اطيب من احوال البهائم وليس للملائكة شئ من اللذات الحسية فلولا ان اللذة العقلية أطيب والا لكان حال البهائم أطيب من حال الملائكة - وثالثها الحيوان قد يرجح غيره على نفسه في المطعم والمشروب عند حاجته اليه ولولا أن لذة الايثار أقوى من لذة المطعم والمشروب والا لما كان ذلك بل الشجاع قد يلقي نفسه في المعركة مع ظن الهلاك او يقينه وما ذلك الا لأن لذة

الحمد أقوى من لذة الحياة واذا ثبت ذلك في اللذة ثبت مثله في الألم العقلي والجسماني لان نسبة هذا الألم الي الألم الجسماني كنسبة اللذة العقلية الى اللذة الجسمانية وكلام الفلاسفة وابن سينا طافح بأن الألم العقلي أقوى من الألم الجسماني - اذا تقرر ذلك كله فللمفلوكين من أهل العقل والفضل والنباهة آلام عقلية تلزمهم - أولاهم تشوقهم وتشوقهم الى المكارم والمعالى ومد أعناقهم نحوها ولاشك ان الشوق الى المشوق مع عدمه وعدم التمكن من تحصيله وعدم الاشتغال بما يلهى عنه عذاب مذاب ولذلك لا يبتهجون بالاعیاد والمواسم بل تكون زيادة في كدهم ونكدهم وستأني اشعارهم في تشوقهم الى المعالى وتألهم على قعدها في الفصل الثاني عشر ان شاء الله تعالى - وثانيها تألمهم بذكر تقائصهم الواقعة منهم أحياناً بحكم البشرية لما ركب الله تعالى في البشر من القوة الشهوانية والغضبية والمتوهمة اللواتي هي اصول الفساد وهي المشار إليها في قوله تعالى (الى ظل ذي ثلاث شعب) في احد الاقوال ولما ان للقلب ميلاً الى الاخلاق السبعية والبهيمية والشيطانية على ما هو مقرر في كتب الصوفية ولما ركب ايضا في الجسم من التسفل ولما جعل من ان الفساد ادخل تحت القدرة من الصلاح كالبناء والهدم ولاشك ان اطلاق النفس وطبيعتها ترويح لها وتنفيس من ألم ضبطها وحينئذ فيكون الترويح والتنفيس بالنسبة الى المفاليك ناقصاً (١) مخدجاً لما فيه من ترقب التقيص به ويكون ايضاً عسير الانتظام نادر الوقوع لذلك ولقد احسن من قال

اما ذنابي ولا تعبا بمنقصه * او ذروة المجد واحذر ان تقع وسطا

وأشد من ذلك ألماً واعظم مصيبة اضافة النقائص الموهومة او المكذوبة اليهم وهم منها برآء ولقد عرى اهل الفضل من ذلك شدائد - كان الزنجشري ابو القاسم محمود ابن عمر بن محمد الخوارزمي ساقط احد الرجلين وكان يمشي في حلوب من خشب لسقوطها بالثلج في بعض اسفاره في بلاد خوارزم فكتب معه محضراً فيه شهادة

(١) هو من اخذت الناقة جاءت بولد ناقص وان كانت ايامه تامة ويقال رجل مخدج اليد ناقصها اه من القاموس (٢) الذنابي مثل جباري الذنب وذروة الشيء اعلاه اي كن ذنباً سافلاً او ذروة عالياً راقباً اه

خلق كثير بذلك لئلا يرمى بتقيصة السرقة — وكان ابن فضلان ابو القاسم يحيى بن علي ابن الفضل البغدادي الملقب جمال الدين الامام في الاصول والخلاف والجدل الرئيس الوجيه ذاهب احدى اليدين لانه لما خرج من نيسابور سقط عن دابته ففسدت يده وادت الحال الي قطعها فعمل محضراً بذلك خوفاً من التهمة بالقبيح ومع ذلك فقد كان يجرى بينه وبين المجير البغدادي مناظرات فيشنع هو على المجير بالفلسفة والمجير يشنع عليه بقطع يده — والسبب في تخصيص اهل الفضل باذاعة تقائصهم وعدم اقاتلهم اياها والتليس والافتراء عليهم هما كانت محققة أو موهومة محتملة ان النفوس مجبولة على المساواة والمباهاة ولا تحب لغيرها تفوقاً عليها فهما وجدت سيلاً للتقيص من كمال الكمل واو تليسا مقبولا سلكته تقيصا للكمال وطلبا للمساواة بحسب الامكان بخلاف الناقص في نفسه فانه لا حاجة الى تقيصه --- وثالثها ألم الانفراد مع ان الانسان مدني بالطبع لا يمكنه ان يستقل بنفسه منفردا عن الغير بحيث لا يستعين باحد في حاجاته وضروراته بل لا قوام لأحواله الا بالتعاون حتى ان الرغيف من الخبز لا يصير رغيفاً الا بالآلات واعمال تفتقر الي صناع كثيرين كثرة بالغة. والمدنية في اصطلاح الحكماء هي الاجتماع ولما ان الانسان مدني بالطبع في احواله الكمالية والمصلحية فلا يمكنه ان يستقل بنفسه منفردا عن الغير بحيث لا يستعين باحد في اموره الكمالية والمصلحية والوجدان والتجربة اصدق شاهد في ذلك والمناسبة والاخالة تصحح القياس واللاحق والمفاليك يلزمهم الانفراد لزوما لانفاك لهم عنه. والسبب في ذلك ان الناس بالاضافة الى المفوك اربعة اقسام مساولة في الفلاكة . اكثر منه فلاكة . اعلى منه بقليل . اعلى منه مطلقاً — ووجه الحصر أن المأخوذ بالاضافة الى المفوك اما مفوك او غير مفوك والاول اما مساو او انزل . والثاني اما اعلى بقليل او اعلى مطلقا اذا تقرر ذلك فالقسمان الاولان لا فائدة في الاجتماع بهما لان حكمة التمدن مفقودة فيهما وغاية الاجتماع بهما تضاعف الفلاكة وتكاثفها وتغليظ الحجاب الحاجب عن المقاصد كانهضام ظلمة الى اخرى وكفسل العذرة بالبول. والقسم الاخير يمنع من الاجتماع به امور اعظمها ان العطاء والنبلاء يحرصون على سد الذرائع في اطماع المفوكين في جانبهم بتبعيدهم والاعراض عنهم خشية من تثقيبهم

بجوانبهم وان يكونوا كلا عليهم وانهم يتأنفون المفاليك ويستقدرونهم ويستقلون ظلمهم ويتوقعون من تقريرهم مفسد وضوحها يغني عن بسطها ويتوهمون في بعضهم حسدا وتلقا كاذبا (١) صاحباً من غير اخلاص ولا مناصحة . والقسم الثالث يمنع من الاجتماع بهم امور كثيرة اعظمها عدم تعلق الرجاء والخوف بالمفاليك الذي هو داعية الاجتماع غالباً وشغل هذا القسم بالمساوين لهم في النباهة بحيث لا يفضون للاجتماع بالمفاليك غالباً وعدم حرص المفاليك على استمالتهم واستعطافهم لضعف الرجاء فيهم ولكن هذا القسم اقل مانعا من القسم الاخير ولذلك ربما نال بعض المفاليك حظاً من الاجتماع بهم - ومنها ولوعهم بالاسفار ومخاطرتهم بنفوسهم فيها مع ما فيه من العذاب المذاب بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب » - ولقد صرح بتعليل السفر بالفلاكة من قال

يقيم الرجال الاغنياء بارضهم * وترمي النوى بالمقترين المراميا
والسبب في ذلك يفتقر بيانه الى مقدمة وهي ان الظن اقوى من الشك والعلم
اقوى من الظن ورتب الظنون متفاوتة في نفسها جلا، وخفاء واجلى لقوة مستند الظن
وضعفه وكذلك رتب العلوم متفاوتة في المعلوماتية فكم بين المشاهدات وبين كل قضية
صدق العقل بها بواسطة الحس كعلمنا بحرارة النار وبرودة الثلج وبين الحدسيات وهي
كل قضية يصدق العقل بها بواسطة الحدس كالعلم بحكمة الصانع عند رؤية العالم على
غاية الاتقان من التفاوت وان كان كل من المشاهدات والحدسيات مفيدا للعلم ولذلك
لم ينكر العلم المستفاد من الحس الا السوفسطائية وكم بين العقلاء من الاختلاف في
الحدسيات اختلافا قويا وضعيفاً ولذلك ايضا فرقوا بين علم اليقين وعين اليقين ومن
هنا ينكشف لك مادة الجواب عن قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم (بلى ولكن ليظمن
قلبي) ثم الانسان متشوف الى مصلحته فاذا تعارض عنده في تحصيل مصلحته طريقان
احدهما مظنون والاخر مشكوك فيه او احدهما اجلى في الظن من الاخر او احدهما
اقوى في المعلوماتية من الاخر فالعمل بهما معا جمع للنقيضين وتركهما معا رفع للنقيضين

(١) في القاموس صحي الثوب كرضي اتسخ ودرن ايه ومنه يفهم المراد .

وكلاهما محال والعمل بالمرجوح وترك الراجح خلاف صريح العقل فيتعين العمل بالراجح اذا تقرر ذلك فالسبب في كثرة تنقلات المفلوكين في الارض أنه متى استولت الفلاكة على شخص في بلد واضطرب في ارجائها وتلكع في طرق معاشها وذاق طبائع اهلها وراز شهامتهم وعصبيتهم وارتياحهم الى الحامد وأريحيتهم وامتنحن قوته في التسلق الى مطالبه وابت تلك البلد عليه الانبوا ودفعا وممانعة عن المطلوب ومل وجوها لاخير فيها ومع سمعه كلاما لا محصل له وقذفهم بقلبه فقفوه بقلوبهم بل وبظواهرهم فينئذ يظن او يعلم ان تأتي المصلحة في ذلك البلد مستحيل او متعسر والبلد الثاني ظن الخير قائم به لاسيما فيمن يتوهم في نفسه استعدادا لافاضة الخير عليه فيجب حينئذ السفر الى البلد الثاني والاقيسة العقلية وان اقتضت استمرار الفلاكة في البلد الثاني من جهة ان موجبات الفلاكة القائمة بالمفلوك مصاحبة له سفرا وحضرا وكذلك موجبات فلاكته القائمة بالناس موجودة فيهم في كل بلد لكن الادلة متعارضة في البلد الثاني والعلم المستفاد بالتجربة في البلد الاول مفقود في البلد الثاني والاحتمالات مقتضية للاضطراب وليس الخبر كالعيان ولا الشر الحاصل المحسوس كالشر المترقب المعقول وان كانا معلومين ولذلك من قصده شخص بسيف مصلتا يريد قتله وهو على سطح عال يرمى بنفسه منه الى الارض وان كان ذلك احد الطريقين في هلاكه وربما صار السفر للمفلوك طبيعيا لكثرة ما يعاني من الشدائد والمشاق كمن وقع في ماء او نار فانه بطبعه يأخذ الى محيط النار وساحل الماء - واذا اتضح عندك ما قررناه وقفت على الحكمة في تمنى المفلوكين تغير الدول وتشوفهم الى ذلك فان الدولة الحاضرة كالبلد الاول والدولة المتمناة كالبلد الثاني وقوة الرجاء وقيام احتمال الخير المتعلق بالدولة الثانية حكمه حكم البلد الثاني وقد اشار الى ذلك من قال

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ * نصيب من الدنيا تمنى زوالها

- ومنها تعلقم بالاسباب المستحيلة كالنجوم والكيمياء والمطالب والحرف

الهوائيه الضعيفة الصدفية كصناعة الشهود لغير المعروف والدلالة لغير المشهود والسبب في ذلك انه اذا اخفت مساعي المفاليك وعجزوا عن المعاش الطبيعي والتعلق بالاسباب المقيسة المطردة ودهشوا وتحيروا وعميت عليهم الانباء وتعلقت نفوسهم بالدنيا ولذاتها

تمنوا الامانى وقنعوا بمخادعة الاملاق بالمواعيد الكاذبة واستنشقوا الغنى من حيث لا تهب
ريحه واتوا السعادة من غير ابوابها وأنا ابين وجه استحالة الاسباب الا اول وهى الكيمياء
والنجوم والمطالب واستحالة افضاء التعلق بالسبب الآخراى المطلوب - فاما النجوم
ففقول ليس البحث فى تأثير شعاع الكواكب فى التسخين عند المسامة او التبريد عند
الانحراف عن المسامة ولا فى وجود الضياء فى المواضع التى تطلع فيها الشمس والقمر
وعدمه فيما غابا عنه ولا فيما يجرى مجرى التأثير الطبيعى على حسب ما نصه سبحانه وله
الحمد مثل ان النبات ينمى ويقوى ويشد ويتكامل وينضج ثمره بالشمس والقمر
وكما فى امتداد القاء وطوله وغلظه بالقمر وسرعة نضج التين وادراكه بمقابلة الشمس
وبقائه فجأ بطيء الادراك بخفائه عن الشمس ومثل ان البرد بسبب بعد الشمس عن
سمت رؤسنا وقوة الحر بسبب قرب الشمس من سمت رؤسنا وكذلك ليس البحث
فى ان الشمس اذا طلعت فان الحيوان ناطقه وبهيته يخرج من اما كنهه واكتنه وتظهر
القوة والحركة فيهم وتزداد قوة الحيوان مع ازدياد صعود الشمس فى الربع الشرقى
وتنقص وتضعف قوة الحيوان وتفتقر مع ميل الشمس عن وسط السماء . ولا فى ارتباط
فصول العام الاربعة بحركات الشمس ولا فى انفتاح اللينوفر وورق الخطمى وتحركه
بطلوع الشمس وضعفه اذا غابت عنه . ولا فى المد الحاصل فى بحر فارس والهند اذا بلغ
القمر مشرقا من مشارق البحر الى ان يصير القمر الى وسط سماء ذلك الموضع . ولا فى
الجزر الحاصل فى البحرين المذكورين . ولا فى تأثير الشمس والقمر حرارة ورطوبة وبرودة
ويبوسة وتوابها فى هذا العالم من الحيوان والنبات بواسطة الهواء وقبوله للسخونة
والحرارة بانعكاس شعاع الشمس مثلا عليه عند مقابلتها لجرم الارض واختلاف حال
الهواء بذلك واختلاف احوال الابجرة فى تكاثفها وبردها ولطفها وحرها . ولا فى أن
السودان لما كان مسكنهم خط الاستواء الى محاذاة ممر رأس السرطان وكانت الشمس
تمر على رؤسهم فى السنة امامرة او مرتين تسودت ابدانهم وجعدت شعورهم وقلت
رطوباتهم فسيات اخلاقهم وضعفت عقولهم . ولا فى اهل الهند واليمن وبعض اهل
المغرب لما كانت مساكنهم اقرب الى محاذاة ممر السرطان كان السواد فيهم اقل

وطبائهم اعدل واخلاقهم احسن واجسامهم انصح. ولا في اهل العراق والشام وخراسان وفارس والصين لما كانت مساكنهم على ممر رأس السرطان الى محاذاة بنات نعش الكبرى والشمس لانسامت رؤسهم ولا تبعد عنهم بعدا كثيرا وأن لذلك لم يعرض لهم حر شديد ولا برد شديد كانت الوانهم متوسطة واجسامهم معتدلة واخلاقهم فاضلة. ولا في ان هؤلاء مختلفون بحسب اختلاف ذلك فمن كان من هؤلاء اميل الى ناحية الجنوب كان اتم في الذكاء والفهم ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق فهم اقوى نفوسا واشد ذكورة ومن كان يميل الى ناحية الغرب غلب عليهم اللين والرزانة. ولا في أن الترك والصقالبة لما كانت مساكنهم محاذية لبنات نعش والشمس بعيدة عن مساكنهم كان البرد غالبا عليهم والرطوبة مستولية عليهم لانه ليس هناك من الحرارة ما ينشفها وكان لذلك الوانهم بيضاء وشعورهم سبطة شقراء وابدانهم رخصة وطبائهم مائلة الى البرودة واذهانهم جامدة. ولا في ان الاخلاط التي في بدن الانسان تزيد مادام القمر آخذاً في الزيادة ويكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسناً فاذا نقص ضوء القمر صارت هذه الاخلاط في غور البدن والعروق وازداد ظاهر البدن يبسا. ولا في ازدياد ألبان الحيوانات بتزايد القمر اول الشهر الى نصفه وتناقصها مع نقصانه. ولا في ادمغة الحيوان وامقال البيض التي تزيد اول الشهر وتنقص آخره. ولا في ان الانسان اذا نام او قعد في ضوء القمر حدث في بدنه الاسترخاء والكسل وهاج عليه الزكام والصداع. ولا في بلاء الكتان وفساد اللحم وتغير طعمه بانكشافه لضوء القمر. ولا في كثرة الاسماك في البحر وسمنها اول الشهر وقتها وضعفها آخره. ولا في قبول الرياض والاشجار للنمو والنشوا اذا غرست اول الشهر وعدم قبولها لذلك اذا غرست آخره — انما البحث في ان النجوم تؤثر في جملة الحوادث السفلية من السعادة والشقاوة والذكاء والبلادة والحسن والقبح والخديعة والمكر والندالة والشهامة والشجاعة والجنون والاشكال والمقادير ونحوها وان ذلك كله باتصالات الكواكب وانفصالاتها ومسامتها ومباينتها فان هذا مما لا يبرهان عليه لا يجبر من لا يجوز الكذب عليه ولا بضرورة العقل ولا بنظره وغايته حدس وتخمين وظنون كاذبة وتزوق وتفرس وحيلة وخديعة حتى ان من لا يتقيد بالشرعية كابن سينا

والفارابي بالغافي الرد على الاحكاميين والنجوميين واطال في ذلك ابن سينا في آخر الشفاء وحتى ان ابا معشر وهو من أئمتهم اعترف بانه تخمين فانه قال معتدراً كل الأعراض الغائبة توهم لا يكون شيء منها يقينا وانما يكون توهم اقوى من توهم. وانظر ما كان اقوى تعلق بنى بربك بالنجوم حتى في ساعات اكلمهم وركوبهم وعامة افعالهم وكيف كانت نكبتهم الشنيعة. وانظر حال علي بن مقلة الوزير وتعظيمه لعلم احكام النجوم ودخوله داره على طالع سعيد فنكب فيها اشد نكبة وقطعت يده ولسانه — والدليل على بطلان ذلك انا نشاهد عالماً كثيراً يقتلون في ساعة واحدة في حرب وخلقاً يفرقون في ساعة واحدة مع القطع باختلاف طوالمهم واقتضاها عندهم احوالاً مختلفة ولو كان للطوالع تأثير في هذا لامتنع عند اختلافها الاشتراك في ذلك ولا ينفهم الجواب بان طالع الوقت قد يكون اقوى من طالع الاصل فيكون الحكم له لانا نقول هذا بعينه يبطل الجزم بطالع المولود ويحيل القول بتأثيره فلعل طوالع الاحوال المتجددة اقوى من طالع الاصل فيرفع الوثوق بطالع الاصل اذ لا أمان لاقتضاء الطوالع بعده ضد ما اقتضاه وحينئذ فلا يفيد اعتباره شيئاً — وايضاً فانه لو كان طبيعياً وذاتياً لما اختلف والتالى باطل فالقديم مثله اما الملازمة فظاهرة وأما بطلان التالى فان المنجمين قلما يجمعون على شيء ويكون كذلك — فمن ذلك اتفاق حداقهم سنة سبع وثلاثين عام صفيين في مخرج علي رضي الله عنه من الكوفة الى محاربة اهل الشام على انه يقتل ويهجر جيشه فظهر كذبهم وانتصر جيشه على اهل الشام ولم يقدروا على التخلص منهم الا بالحيلة التي وضعوها من نشر المصاحف على الرماح والدعاء الى ما فيها — ومن ذلك اتفاقهم عند ماتم بناء بغداد سنة ست واربعين ومائة على ان طالعا يقتضى أنه لا يموت فيها خليفة وشاع ذلك حتى هنا الشعراء به المنصور حيث قال بعض شعرائه

يهنيك منها بلدة تقضى لنا * ان المات بها عليك حرام

لما قضت احكام طالع وقتها * ان لا يرى فيها يموت امام

وأكد هذا الهذيان في نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة ثم المهدي باسدان

ثم الهادي بعنيساباد ثم الرشيد بطوس فلما قتل بها الامين بشارع باب الانبار انخرم

هذا الاصل حتى رجع القائل الاول فقال

كذب المنجم في مقاله التي * نطقت على بغداد بالهذيان

قتل الامين بها لعمرى يقتضى * تكذيبهم في سائر الحسبان

ثم مات بغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكتفي والناصر

وغير هؤلاء — ومن ذلك اتفاهم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في قصة عمورية

على ان المعتصم ان خرج لفتحها كانت عليه الدائرة وان النصر لعدوه فخرج ففتح عمورية

وما والاها من كل حصن وقلعة وفي ذلك الفتح قام ابو تمام الطائي منشدا

السيف اصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخمسين لافي السبعة الشهب

اين الرواية ام اين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تحرصا واحاديثاً ملفقة * ليست بنبع (١) اذا عدت ولا غرب

وهي نحو من سبعين بيتا اجيز على كل بيت منها بألف درهم — ومن ذلك اتفاهم

وفيهم زعيمهم ابو الحسن العاصمى على ان المكتفي بالله ان خرج لقتال القرامطة لم يرجع

وتزول دولته وان طالع مولده يقتضى ذلك واخافوا وزيره القاسم بن عبيد الله من

الخروج معه فخرج اليهم المكتفي وأخذهم جميعاً ولما عاد وزيره القاسم أمر باحضار رئيس

المنجمين وصفعه صفعاً عظيماً — ومن ذلك اتفاهم سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة عند ما

اراد القائد جوهر بناء مدينة القاهرة المعزية وقد كان سبق مولاه الملقب بالمعز الى

الدخول الى الديار المصرية لما امره ببنائها وان يكون نجوم طالها في غاية الاستقامة

ويكون بطاع الكواكب القاهر وهو زحل او المريخ ولذلك سميت القاهرة فجمع القائد

جوهر المنجمين فحققوا الرصد وأمر البنائين ان لا يضعوا الاساس حتى يقال لهم ضعوه

وان يكونوا على نهاية من التيفظ والاسراع فوضعت على ذلك الاتقان واتفقوا على ان

الدولة الفاطمية لا تخرج الدولة عنهم فلما استولى عليها صلاح الدين يوسف بن ايوب

(١) النبع شجر تعمل منه القسي والسهام والغرب بالتحريك شجر أيضاً اه من القاموس

وكان المصريون قائمين بدعوة العاضد عبد الله بن يوسف توهم الجهال ان ماقاله المنجمون حق فلما رد صلاح الدين الدعوة الى بنى العباس ظهر كذبهم وكانت المدة بين وضع الاساس وانقراض الدولة نحو من مائة وثلاثة وتسعين عاما واعتذار من اعتذر عنهم بسبق البنائين الارصاد بعيد لان تبديل البناء وتغييره مع الاحتياط للدولة مع سهولة التغيير مما لا يتسامح به — ومن ذلك اتفاقهم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة في ايام الحاكم على انها السنة التي تنقضى فيها بمصر دولة العبيديين وذلك عند خروج الوايد بن هشام المعروف بابي ركة الاموى وحكم الطالع له بانه هو القاطع لدولة العبيديين وانه لا بد ان يستولى على الديار المصرية وياخذ الحاكم اسيرا ولم يبق بمصر منجم الاحكم بذلك واكبرهم المعروف بالفكرى منجم الحاكم فكان ابوركة قد ملك برقة واعمالها وكان من تدير الحاكم ان دعا خواصهم وامرهم ان يكتبوا ابوركة ويطمعوه باختياره على الحاكم ففعلوا فزحف ابوركة بعساكره حتى نزل بوسيم على ثلاثة فراسخ من مصر فخرجت اليه العساكر الحاكية فهزمته فتحقق انها خديعة فهرب وقتل خلق كثير من عسكره وطلب فاخذ اسيرا ودخل به الى القاهرة على جبل مشهورا ثم امر الحاكم بقتله سنة ٣٩٧ وامر الحاكم بالفكرى فقتل — والسبب في استمالة الفكرى للحاكم ان الفكرى اصاب معه في قضيتين احدهما ان الحاكم عزم على ارسال اسطول الى مدينة صور لمحاربتهم فسأله الفكرى ان يكون تديره اليه ليخرجه في طالع يختاره وتكون العهدة ان لم يظفر عليه واتفق ظهور الاسطول . الثانية انه ذكر له ان بساحل بركة موريس مسجدا وان تحته كنزا وسأله ان يتولى هو هدمه فان ظهر الكنز والا بناه هو من ماله فاتفق اصابة الكنز — ولما حكم عليه الفكرى بتغيير دولته وقضى المنجمون بمثل قضائه وقع في نفس الحاكم ان يغير دولته تغييرا معنويا فعمد الى كل متول في دولته ولاية فعزله منها وقتل وزيره الحسن ابن عماد وصار يأمر في يومه بخلاف ما يأمر به في أمسه فأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم على رؤس المناير والمساجد ثم امر بقطع سبهم وعقوبة من سبهم وامر بقطع شجرة الزرجون (١) من الارض واوجب القتل على من شرب الخمر ثم امر بغرس هذه الشجرة

(١) في القاموس الزرجون محرقة الخمر والكرم او قضبانها وصنع احمر ام

واباح شرب الخمر واهمل الناس حتى نهب الجانب الغربي من القاهرة وقتلت فيه جماعة ثم ضبط الامر حتى امر ان لاتغلق الحوانيت ليلا ولا نهاراً وامر مناديا ينادى من عدم له ما يساوى درهما اخذه من بيت المال درهمين بعد ان يحلف على عدمه او يعضده بشهادة رجلين حتى تحيل الناس في ستر حوانيتهم بالجريد لثلاث تدخل الكلاب ثم لما قتل الفكرى لم يزل اثر التنجيم في نفسه لتشوف النفس الى التطلع الى الحوادث قبل وقوعها فجمع المنجمين جمعاً ثانياً بعد ان جمعهم اولاً وعملوا له الرصد الحاكمى الذى خالف فيه الرصد المأمونى فالزموه فيما الزموه بركوب الحمار وان يتعاهد الجبل المقطم فى اكثر الايام وينفرد وحده يخاطب زحل وحكوا بان ما دام كذلك كان سالم النفس فلزم ما اشاروا عليه به فخرج بجماره الى ذلك الجبل على عادته وانفرد بنفسه لكوكبه وقد استعد له قوم بسكاكين فقطعوه هناك واعدوا جثته فلم يعلم له خبر فمن هنا تقول اتباعه الملاحدة انه غائب منتظر - ومن ذلك اتفاقهم سنة ٤٨٢ على خروج ريح سوداء تكون فى سائر الاقطار تهلك الناس الا من اتخذ لنفسه مغارة فى الجبال بسبب ان الكواكب كانت اجتمعت فى برج الميزان وهو برج هوائى كما اجتمعت فى برج الحوت زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو برج مائى فحصل الطوفان فاتخذ الرعاع المغاير استدفاعاً لما اندروه به فلما جاء الوقت الموعود قل هبوب الريح حتى اهم الناس ذلك لما هم عليه من الكرب وظهر كذبهم - ومن ذلك اتفاقهم فى الدولة الصلاحية على ان الاسكندرية لا يموت فيها وال فلما مات بها الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب سنة ٤٧٤ ثم واليها فخر الدين قراجا بن عبد الله سنة ٤٨٩ ثم واليها سعد الدين ابن شوكين بن عبد الله سنة ٦٠٤ انخرمت هذه القاعدة - ومما اتفق عليه المنجمون ان الانسان اذا اراد ان الله تعالى يستجيب دعاءه جعل الرأس فى وسط السماء مع المشتري او بنظر منه مقبول والقمر متصل به او منصرف عنه متصل بصاحب الطالع او صاحب الطالع متصل بالمشتري ناظر الى الرأس نظر مودة فهناك لا يشكون ان الاجابة حاصلة قالوا وكانت ملوك اليونان يلزمون ذلك فيحمدون عقباه والعاقل يعلم ان الله تعالى لا يتاثر بمركات النجوم ولا توجب النجوم عليه شيئاً

وأما الكيمياء فلا بحث في امكانها على يد ولي من قبيل الكرامات وخرق العادات ولا في الوصول الى تصحيح صبغها ظاهرا على وجه التليس والغش كما يفعله الفساق انما البحث في تصيير النحاس ذهبا حقيقة على طريقة صناعة مطردة فهذا مما لا اعتقد صحته وقد صنف الشيخ نقي الدين بن تيمية رسالة في انكارها وكذلك ابن قيم الجوزية كما حكاها هو عن نفسه في كتابه المسمى (مفتاح دار السعادة) واضطرب كلام انفارابي في امكانها فاثبتها مرة ونفاها اخرى والشيخ ابو علي بن سينا سلم امكان ان يصبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص اكثر ما فيه من النقص قال وأما أن يكون الفصل المنوع يسلب او يكسب فلم يظهر لي امكانه اذ هذه الامور المحسوسة يتشبهان لا تكون الفصول التي بها تصير هذه الاجسام انواعاً بل هي اعراض ولوازمها وفصولها مجهولة واذا كان الشيء مجهولاً كيف يمكن قصد ايجاده او افنائه وللفلاسفة في امتناعها مطلقاً حجج كثيرة فمن اقواها ان الطبيعة انما تعمل هذه الاجسام من عناصر مجهولة عندنا وتلك العناصر مقادير معينة مجهولة عندنا ولكيفيات تلك العناصر مراتب معلومة أى في نفسها وهي مجهولة عندنا ولتمام الفعل والانفعال زمان معين هو مجهول عندنا ومع الجهل لكل ذلك كيف يمكننا عمل هذه الاجسام — ومنها لو كان الذهب الصناعى مثلاً للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلاً لما بالطبيعة لكن التالى باطل اما اولاً فلانالم نجد شبيهاً واما ثانياً فلانه لو جاز ان يوجد بالصناعة لما حصل بالطبيعة ولما ثبت امتناع التالى ثبت امتناع المقدم — ومنها أن لهذه الاجساد اما كن طبيعية وهي معادنها هي لها بمنزلة الارحام للحيوان فمن جوز تولدها من غير تلك المعادن كان كمن جوز تولد الحيوان من غير الارحام — ومنها ان هذه الاجساد متباينة بفصولها النوعية وتلك الفصول مجهولة لنا فلا يمكننا ايجادها ولا اعدامها وبتقدير ان تكون الفصول معلومة لنا لا يمكننا ازلتها وتحصيلها لانه لو جاز ان يجعل نوع نوعاً لجاز ان يجعل الفرس حماراً وبالعكس — ومنها ان الجوهر الصابغ اما ان يكون اصبر على النار من المصبوغ او يكون المصبوغ اصبر او متساويين فان كان الصابغ اصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ اصبر وجب ان يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ

على حاله الاول عريا عن الصبغ وان استويا فكما استويا في المصابرة على النار كانا من نوع واحد فليس احدهما بالصابغية وآخر بالمصبوغية اولى من العكس - ومنها ان تكوين الذهب الطبيعي انما يحصل في سنين كثيرة بانضاج وطبخ من حرارة الارض على وجه مخصوص بمواد مخصوصة ومراعاة الانسان النار في عمل الذهب على هذا النظام مما لا يفي به علم البشر ثم اذا كان تكوينه بالقدرة القديمة على الوجه الطبيعي انما يحصل في سنين فكيف يتكون بالقدرة الحادة في مدة يسيرة قال الطبيعيون ان الزئبق اذا كمل نضجه في الارض جذبته اليه كبريت المعدن فاجنه وأخفاه في جوفه لثلايسيل سيلان الرطوبات فاذا اختلطا واتحدا وذابت الحرارة انعقد عند ذلك ضربا من المعادن التي يسمونها الفلزات وهي السبعة الاحاد الذائبة الصابرة على النار المنطوقة فان كان الزئبق صافيا والكبريت تقياً واختلطت اجزائهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرورات والمحوضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا لا يتكون الا من الاحجار الرخوة والبراري الرملية وبذلك يتضح عندك ان قوة الانسان قاصرة عن ايجاد مثل ذلك مادة وكيفية . ويزيد ذلك وضوحا ان المذكور في كتب الكيمياء انما هو رموز فلو كان لها حقيقة لصرحوا بها فقد صرح العلماء بما هو انفس من ذلك واجل قدراً مما كان له حقيقة ولا أقول كحل المشكلات والجمع بين الاحاديث الصحيحة والنكات القرآنية الشريفة لثلا يكون تخليطاً في البحث فان البحث انما هو في الامور الدنيوية بل ككتب ابن وحشية وغيره في الطلسمات الصحيحة والفلاحة النافعة وأنواع من السحر هي في بابها كفتل الصبح وفي نفاستها كالكيمياء او فوقها فلا يصح التعليل بانهم انما كتموها تمويها وزرفاً (١) وعجزا عن تصوير مالا حقيقة له او توهماً كاذباً وتخميناً طمعياً والله أعلم

واما المطالب فلا بحث في امكان ان يجد الشخص دفيناً جاهلياً او اسلامياً على الاتفاق والصدف انما البحث في ان تحت الارض مساكن وعمارات مبنية

(١) في القاموس زرف في الكلام زاد فيه والزراعة مثل كاسة الكذاب اه ومنه يعلم

وفيهما كنوز واموال عظيمة وعليها موانع وطلسمات وتلك الموانع طرق تزول بها وعلى تلك المطالب علامات وامارات يتوصل بها الى امكنتها ويستدل عليها بها فهذا من مخارق المحتالين وامانى المفلوكين ولا دليل لهم فيما يروجون كذبهم به من ان فى القرون السالفة من كان يعتقد العود الى الدنيا فيدخر ماله لذلك لما سنيته - والدليل على ان المطالب لاحقيقة لها وانما هى من المطامع الفارغة والمخارق والحديعة ان ادخار الاموال العظيمة على هذا الوجه المخصوص اما ان يكون لغرض اولا لغرض والغرض امامانيوى او اخروى والاقسام الثلاثة باطلة وما ادى الى الباطل فهو باطل فالتقول بوجود المطالب باطل - بيانه انه لا جائز ان يكون ادخار المال فى الارض لا لغرض بأن يوضع تحت الارض عبثاً لتأكله الارض ويذهب سدى فان ذلك خلاف صريح العقل لما ان الذهب والفضة هما قيم الاشياء وجوهر الثمنية واسباب المطالب ولا جائز أن يكون لغرض اخروى لان شريعة الاسلام ليس فيها ما يدل على مطلوبة الادخار والكنز ونيل الدرجات فى الآخرة بسببه بل هى ناهية عنه وآمرة بصرفه فى وجوه القربات والخيرات واصحاب الملل غيرها منهم من ينكر المعاد الجسمانى على القطع ومنهم من تردد فيه وهو لا ، لا يجوز ان يدخروا المال لامر اخروى لما ان اخرويا من غير اعتقاد الآخرة محال وذلك كعبدة النجوم والصابئة والنصارى على ما قاله الاصفهاني فى شرح الطواع فى الكلام على المعاد الجسمانى وان كان فيه نظر وأما من يقول بالادوار والتناسخ كعبدة الاوثان فالكلام فى عدم ادخارهم كالكلام على القسم الثالث - واما القسم الثالث وهو ان يكون الادخار لامر دنيوى يعود على المدخر لاعتقاد عوده الى الدنيا فهو ايضا باطل لانه لو كان كذلك لبالغوا فى اخفائه وسد طريق العلم به لكننا قد فرضنا له علامات وامارات يعرف بها هذا خلف

واما عدم افضاء حرفة الشهادة الى المقصود فذلك لان الحرف والصنائع على قسمين قسم يلزم من العلم به واجادته الحصول على ثمرته وقسم لا يلزم بل لا بد من ضميعة اخرى ومنه حرفة الشهادة وسائر الحرف الهوائية الغير المعيشية وينبغى ان يسمى معاشاً غير طبيعي وهذه لا وثوق بافضائها الى المقصود - وبيانه فيما نحن بصدد

وهو الشهادة ان حقيقة حرفة الشهادة ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقاصد المشهود له وعليه بلفظ صحيح متعارف مستوف لمقاصدها بشروط شرعية وعلى افراغ مقاصدها في قالب شرعى ان كانت غير شرعية وغايتها تحويل عبارة المشهود له وعليه العامة الى عبارة ترضيها العلماء وتحويل تصويرها الفاسد الى صورة شرعية ثم لا يلزم من تحصيل هذه الملكة واجادتها الحصول على ثمرتها والرواج فيها بخلاف القسم الاول من الحدادة ونحوها فان من علمها واجادها حصل على ثمرتها. وحكم سائر الحرف الهوائية كاللدالة والتقابة في عدم افضائها بالعارف بها الى مقصودها حكم الشهادة ولك ان يجعل ذلك حدا رسميا للحرف الهوائية فيقال في حدها حرفة لا يلزم من العلم بها واجادتها الحصول على ثمرتها - والحاصل ان لحرفة الشهادة موانع من حصول ثمرتها والمقصود منها ولها مفسدات وتقائص عاجلة ومضار اخرى آجلة - فاما الموانع فامور - منها ان حرفة الشهادة من قبيل الاحتراف بالعلم والعلم كما سيجىء تحقيقه في الفصل الخامس اقبل شئ للخفاء والجحد والجهل بقدره من صاحبه واقبل شئ للاضافة الى غير اهله بالخط والجاه والتليس وسكوت معور عن معور واذا كان كذلك فقد يدور الرواج في الشهادة مع الهيئة والزى الظاهر واللباس الفاخر ويخفى مكان الاتصاف بحرفة الشهادة على التفسير السابق فيفوت الرواج بفوات الهيئة واللباس وهناك ينشد

أرى ثياباً ولكن حشوها بقر * بلا قرون وذا عيب على البقر

- ومنها ان مبنى حرفة الشهادة على العوام وهم مربوطون بأوهامهم وواقفون مع مألوف عاداتهم ولا تميز لهم بتفهم كتابة وكتابة والتقليد وظيفتهم وذاتي لهم فلا يستعملون في وثائقهم ومكاتيبهم مجهولاً لهم لتوهمهم فيه افساد مكاتيبهم ويلزم من عدم استعمال المجهول استمراره على خموله ومجهوليته ابد الأبدين ودهر الدهرين - ومنها ان مبنى الرواج على الشهرة والشهرة اما بقدمية او بتشهير مقبول القول فاما القدمية فليس المراد بها طول الاقامة في مكان بل كثرة الكتابة التي للشاهد في ايدى الناس المحركة لدواعيهم في استعماله التي يستلزم بعضها بعضا والدخيل خال عن ذلك وقد منا ان الشخص المجهول لا يستعمل والمكث المجرى عن الكتابة لا يفيد شيئاً حتى لو اقام الدخيل ابد الأبدين

في مكان لا يستكتب فيه لم يكن بينه في الجهالة والحفاء والاهمال والجحد فرق البتة —
وأما تشهير مقبول القول فاعز من ييض الانوق ومن تصحيح (١) الاكسير وما احق
هذا بقول القاضي الجرجاني

اذا لم يكن في الارض حريعتي * ولم يك لي كسب فمن اين أرزق
— ومنها ان الحرفة هوائية صرفة وصرفها عن الدخيل والاجنبى الذي لازبون
له بالمواطأة والحيلة والاعتذار والشعوذة والدك من أدخل الاشياء تحت الامكان لاسيا
واهلها بطرق اللؤم اهدى من القطا مع ما لهم من القسوة والقحة وغازظ الاكباد احسن
الله خلاصنا من أيديهم — وأما المفاسد والنقائص العاجلة فلأن الشهادة في هذا الزمان
تستلزم النذالة والسفالة والدناءة وسقوط الهمة وموت النفس والشح والقحة وتؤدي الى
التباغض والتماقت والتقاطع والتدابير والتحاسد يتقاسمون الفليس والفلسين ويتفاضبون
على الحبة والحبتين ويتراضون بالدرهم والدرهمين ويسرقون ويختلسون قال عمر بن
الوردى من ارجوزة طويلة في ذلك

يغيب الاشغال من اييه * ويسرق الاجرة من اخيه
ويخلفون بالطلاق والعتاق على ما كذبهم فيه أظهر من الشمس فضلا عما يحتمل الكذب
ويمدون ذلك استرضاء وعقلاً ويتهافتون بسرعة القيام للاشغال ويمدون حدقا
وكيسا ويوسعون الدخيل حرمانا وشعبذة ويمدون دعاء وكيسا وقد قلت في تهافتهم
ومبادرتهم القيام

بليت به جهولا جاهليا * ثقيل الروح مذموماً بغيضاً
ولم يك اكثر الاخوان علماً * ولكن كان أسرعهم نهوضاً
وأما المضار الاخروية فمن وجوه — اولها حضور الانكحة مع عدم الاستظهار في
شروطها من انقضاء العدة والاولياء والكفاءة وغيرها وعلى الجملة فالاقدام على عقد من
غير معرفة حكمه حرام ثم بتقدير وجود الشرائط فمعهم من انفسهم المفسد الاعظم وهو
فوات العدالة لما ان كل واحد يعرف من نفسه ما لا يعرف من غيره والعدالة عند

(١) الاكسير الكيمياء وقد أقام المؤلف البرهان على عدم صحتها فتنبه

الشافعية عبارة عن عدم مباشرة الكبائر والاصرار على الصفائر مع المروءة واين من يجمع هذه الثلاثة مع خطر النكاح وكثرة ما يترتب عليه من الاحكام من التوالد والتوارث وانتشار النسب الى عدد كثير وما يترتب على ذلك المنتشر من الاحكام ووجوب مالا يجب الا بالنكاح وحل مالا يحل الا به الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة — وثانيها ان شركة الابدان القائل فيها قائلان قائل بعدم جوازها البتة كالشافعي وقائل بجوازها كالحنبلي والحنفي وليس لنا قائل بوجودها وان اثنين ينعقد بينهما شركة الابدان بغير اختيارهما وومنى شركة الشهود غالباً على الاكراه فقلما يقع بين الشهود شركة ابدان صحيحة بالتراضى بل كل منهم لا يريد الآخر ولا الكتابة معه ويمنعه من ذلك موانع هي اكراه او في معنى الاكراه ويكتب احدها مائة سطر والآخر يكتب اسمه ويتقاسمان على السواء ولا شركة بينهما قائمة فيصير الكسب كله حراماً مع ان اكل الحرام مما يظلم القلوب ويمنعها من دخول الحكمة فيها — وثالثها انه يجب على كل أحد علم ظاهر صناعته كما ذكره الشافعية في كتب الفقه اول كتاب الجهاد فيجب على الصيرفي مثلاً معرفة ان يبيع درهم بدرهمين مثلاً حرام وغير ظاهر صناعته كباقي مسائل الربا التي لا يكثر دورها لا يجب عليه تعلمه واذا وقع له شيء منه سأل عنه العلماء وقياسه ان كل شاهد يجب عليه ان يعلم شروط الرهن والبيع والكفالة والاقارير لان هذه الاشياء كثيرة الدور وبقى مسائل هذه الابواب يسأل عنها المفتي اذا وقع له فحينئذ من ترك من الشهود معرفة هذه الاشياء كان عاصياً ويتكرر عصيانه كل يوم ويترتب على ذلك مالا يخفى — وايضاً كثيراً ما يكتب الشهود في الشهادة على من لا يعرفونه وقد عرفه شهوده وهو كذب لان المعرفة لا تحصل بالنظرة ولا بالمرّة ويتكرر هذا الكذب بتكرار الشهادة على المجاهيل ويترتب على ذلك ما لا يخفى — ورابعها تضييع الحقوق بالجهل فرب من يكتب شيئاً يزيد فيه كلمة أو ينقص كلمة أو يصور صورة يترتب عليها مفسد شرعية وهو بجهله لا يعلمها ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكلمة الزائدة أو الناقصة هكذا تحملها لان ذلك بتسببه وتوريطه المشهود له وعليه في ذلك بتقليدها اياه ظناً منهما انه أهل للتقليد — وخامسها التدليس باسترعاء المشهود عليه بكلمات الفقهاء التي تقصر عن ادراك غوائلها

ودساتسها افهام العوام من غير ان يعرف العوام ما وراء ذلك من الغور مع القطع بانه لو شرح له مافى ذلك من الفساد لما أقدم عليه. ولا يصح أيضاً الاعتذار عن ذلك بانه هكذا تحمل وهكذا استرعاه لان هذا مما لا ينفع عند العليم الخبير — وسادسها انهم يكتبون فى كتب الاوقاف كلاماً طويلاً تلقوه عن تقديمهم من غير ان يعرفوا معناه فضلاً عن الواقف المشهود عليه بدليل ان العلماء فضلاً عن المورثين تدور رؤسهم فى ثانى الحال فى فهم المراد منه والواقف لم يتلفظ به ولا بمعظمه ولو قرئ عليه لم يفد لإستحالة ارادة معنى شئ بدون فهمه — على ان الانشآت لا بد فيها مع اللفظ من فهم المعنى بدليل ان الاعجمى لو لقن الطلاق بلا فهم فأوقعه واراد معناه عند العارف بمعناه لم يقع وعلى الجملة فشهادتهم على الواقف بما نسب اليه فيه وهو لم يفهمه مشكلة جداً بل وينشأ من عباراتهم الفاسدة الناشئة عن الجهل حرمان من لعل الواقف لم يرد حرمانه لو روجع فيه ودخول من لم يرد دخوله — وعلى الجملة فى هذا الموضع نظر ظاهر فليتأمل وسابها تصريح العلماء من الشافعية والحنفية بانه لا يشهد على خطه. الم يتذكر الواقعة فأما القضايا التى يكون للشاهد فيها مدخل أو يكون هو المورق وله فى عباراته وكتابه ما يذكره بالقضية فلا كلام فيها ولكن ثم من القضايا ما يستحيل التذكر فيه عادة كالشهادة على الحكام فى ظهور السجلات مع طول المدة وما فى معنى ذلك فليستفت الشاهد قلبه فى ذلك فانه من مزال الاقدام — وثامنها الأكتفاء فى الشهادة على الحكام فى السجلات الطويلة والمحاضر وصور المجالس الطوال بقول الحاكم له نعم جواباً لقول الشاهد له اشهد عليكم بما فيه من غير أن يقرأ عليه بل ولا يعرف الشاهد ما فيه لا اجمالاً ولا تفصيلاً وقد قال فقهاء الشافعية فى كتاب القاضى للقاضى انه لو لم يقرأ على الشاهدين وقال الحاكم لها أشهدكما على انه كتابى أو ان ما فيه خطي لم يكتف بذلك — وتاسعها رفع الشهود نسب من لا يعرفون نسبه مع ان ذلك شهادة بنسبه ضمناً كما قاله السبكي فى جمع الجوامع فى الكلام على ان مورد الصدق والكذب انما هو النسبة التى تضمنها الخبر لا واحد من طرفيها ولو سلم ان ذلك ليس شهادة بالنسب لا اصلاً ولا ضمناً فقد قال الامام كما نقله عنه فى الروضة والرافعى انه لو لم يعرف المشهود عليه الا باسمه لم

يتعرض في الشهادة لاسم ابيه — هذا ما رأيت ان اذكره مما قوى عندي مما حضرني في هذا المقام من موانع حصول المقصود من حرفة الشهادة ومفاسدها ووراء ذلك غور لا يمكن التصريح به ورأيت ان الامساك عنه اولى وما أحق ذلك بقول القائل

في النفس اشياء لا أستطيع اذكرها * لو قلتها قامت الدنيا على ساق
والله المسئول في الخلاص منها واليه اضرع وعليه اتوكل

— الفصل الخامس —

(في ان الفلاكة والاهمال الصق بأهل العلم وأزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك)
وانما كانت الفلاكة ألصق بهم غالباً من غيرهم لامور — منها ان الامارة عنهم بمعزل والتجارة مبنية على السفسفة والمحاولة (١) والآمال التي لا يقوم دليل على وقوعها والفلاحة والصناعة يلزمهما المهانة والتلوث برذائل الحيل الدنيوية واهل العلم لهم أنفة واستنكاف عن ذلك فيقعدون عن الاكتساب متعاليين بالاماني الكاذبة فيقعون في الفاقة والاملاق — ومنها انهم يحسنون ظنونهم في الناس على مقتضى ما يتوهمونه في انفسهم من استحقاقها لذلك ويبنون على ذلك ربيعاً ويحاولون منيعاً والناس لا سيما اهل عصرنا لا يقيمون لعلومهم ومعارفهم وزناً فيبنون ظنونهم على شفا جرف هار وتأتي الحوادث بنيانهم من القواعد فتجثته ويعودون بآمال خاسرة وظنون كاذبة — ومنها انهم لا يعتيادهم القواعد الكلية والخوض في الانظار الدقيقة يطردون معظم الاشياء كلياً حرماناً وحصولاً ويقيسون الاشياء على اشباهها على طريق قياسهم الفقهي ويلحقون بعض الوقائع ببعض على سبيل الحاق النظير بالنظير والقياس التمثيلي. والقضايا وان تناسبت أو تساوت من وجه فقد تختلف من وجه آخر او من وجوه آخر تخفى على غير المهرة في احكام الدنيا ودقائقها او لخصوص في المادة او لوجود مانع او فوات شرط او لكون تلك القاعدة المأخوذ منها حكم ذلك الفرع ليست كلية في نفسها بل اكثرية وذلك الفرع من غير قسم

(١) ماحله محاكمة ومجالاً قاواه حتى يتبين أيهما أشد اه قاموس والغرض ان التجارة مبنية على الماكسة

الاكثر وهم عن ذلك كله غافلون والقواعد العلمية التي يعرفونها تقضى عليهم بتصحيح الاقيسة والوثوق بها فيطردون معظم الاشياء كلياً حرماناً وحصولاً تأليفاً وتنفيراً تقريباً وتبعيداً اهمالاً ومراعاة فيخطبون لذلك خطبا عظيماً ويخطبون السياسة اصلاً ورأساً والكيس من العامة والهمج لا يعرف الكليات ولا الاقيسة والعمل بها ولا الحاق الاشياء بنظائرها ولا قياس العكس والخلف والملازمات فينظر في الجزئي الذي هو بصدده نظراً خاصاً غير مشوش بما يفسده ويتفقه فيه مانعاً وعائقاً ويجسره على ذلك صحة الجزم وعدم التردد وما ينشأ من كثرة الاحتمالات من الفتور والتواني وضعف العزيمة فتنتجح مساعيهم ويصييون في ظنونهم غالباً - ومنها انهم لبعد غورهم وغوصهم يفرضون محتملات بعيدة ويجزمون بوقوعها وثوقاً منهم بظنونهم وافتاناً بأنفسهم وما من شيء الا ويطرقه الاحتمال المشبوط عن امضائه واستقامته فيتخلفون لذلك عن مظان الخير والتعرض لتنفيسات الدهر وغشيان أهل الجاه فيقعون في الفلاكة والاهمال - ومنها وهو مختص باصحاب علوم الاوائل من الحكمة والفلسفة والطبيعة والمنطق والجدل والطب وكلام الاقدمين والتصوف الممزوج بالفلسفة والمتبحرين في التشكيكات والشبه وعلى الجملة فمن تضيع من هذه العلوم وحدها ولم يكن له خدمة لما في الكتاب والسنة من الاحكام والمعارف ولا تضيع من الفقه ولا نظر نظراً تاماً في كلام العلماء الكبار المشرعين فانه يخرج بهاء الشريعة وجلالها ومهابتها وتعظيم ما فيها من قلبه فيسترسل في اللذات محرمة كانت او جائزة رذيلة خسيصة كانت او غير منفرة ويستثقل الاتيان بالمأمورات فيتركها طلباً للراحة والدعة وأرزاق العلماء مبنية على التماس بركتهم والاستنجاح بأدعيتهم وترفيعهم عن رذيلة الاحتراف والاكتساب الجائزين فمتى لم يرفعوا انفسهم عن الرذائل المحرمة ولم يكن لدعائهم عمل صالح يرفعه ولا على شمائلهم شواهد البركة انكف الناس عن اسعافهم بمرادهم وأخذوا في طعنهم وتقيصهم وربما رموهم بالزندقة والاحاد فتستحكم الفلاكة فيهم والفلاكة كالبرص في الجسد تنتشر فيه وتسرى وتزايد ما لم تجد دواءً حاسماً مانعاً له من السريان - ومنها وهو مختص باصحاب علوم الاوائل ايضاً انهم يرون ان لا كمال الا التحلي بالمعارف والاطلاع على النكات والحقائق والوقوف على الاسرار والدقائق

وان الكمالات الخارجانية من المال والجاه خيالات باطلة لا كمال فيها ويمكن أخذ ذلك والاستدلال عليه بقول عز الدين الحسن بن محمد الاربلي الضرير الفيلسوف

كمل حقيقتك التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الاسفل
أتكمل الفاني وترك باقياً هملاً وأنت بأمره لم تحفل
الجسم للنفس النفيسة آلة ما لم تحصله بها لم يحصل
يفنى وتبقى بعده في غبطة محمودة او شقوة لا تنجلي
أعطيت جسمك خادماً أخذتمه ونسيت عهدك في الزمان الاول
ملكك رقبك مع كمالك ناقصاً أتملك المفضول رق الافضل

و بقول أبي الفتح البستي والغزالي رحمه الله كثير اللهج به في كتبه

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل سعادتها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

و بقول الفارابي محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفي سنة ٣٣٦

أخي خل حيز ذي باطل وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا وما المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات اولى بنا فماذا التنافس في المركز

وإذا كان الكمال الجارجاني متلاشياً في انظارهم على ما تقرره فهم لا محالة لا يعطون له بالا وهو لغيره لا يتم مع الفكرة في تشيره فكيف مع اهماله وعدم الاعتناء به والقائه وراء الظهر - ومنها ان العلوم خرجت عن كونها حرفاً وصناعة من الصناعات بعد مصيرها صناعة من قبل على ما سيجيء تحقيقه والاستدلال عليه في الفصل السادس بعد هذا الفصل وإذا كان كذلك فكيف العمل على شريعة منسوخة والوصول بسلك سبيل قد سد والاستضاءة بمصباح قد طفي - ومنها ان رواج العلماء انما هو لعلمهم كما ان رواج ارباب الحرف انما هو لحرفهم ولكن

العلم بطيء الحصول وليست كل الطبائع تقبله والجزء الغالب عليه الوهب من الله لا الكسب فطائفة من العمر تنقضي في تحصيل متنه وطائفة من العمر ثانية تنقضي في تصوره واخذه عن الشيوخ وطائفة ثالثة في تحقيقه ثم بعد ذلك كله فصفة العلم ليست من الصفات المحسوسة الظاهرة كالحسن والقبح ولا مما يدخله الكمية والمقدار المحسوس ليعرف التفاضل فيه بالذراع والشبر وقياس احد المطلوبين على الآخر ولا الدال على صفة العلم وهو البيان والنطق ظاهراً مكشوفاً لكل احد كالشجاعة التي يعرف بها القوى من الضعيف بالافتراس واللقاء على الارض وكالاجادة في المصنوعات المرئية المشاهدة بل صفة العلم من الصفات النفسانية والكمالات الحاصلة بقوة النفس الناطقة والقوى الباطنة فهي قابلة للجحد والانكار والمدافعة والتغطية عليها عند اهلها وقابلة ايضاً لان يدخل فيها غير اهلها بالتليس والتصنع والتمويه والجاه ويعين على خفتها وجهل الناس بمكانها من صاحبها وقبولها للتصنع والتمويه ان العلم مستدع لفاهمة وحافظة وقل أن يجتمعاً في شخص وذلك لما ان القوة الحافظة من مقدم الدماغ والقوة الفاهمة مما يلي مؤخر الدماغ في وسطه وبقدر كمال احدها بموادها تنقص الاخرى لتقابل المكنين وان شئت قلت ان البطن المؤخر من الدماغ محل الاسترجاع والتذكر والبطن المقدم محل التخيل وبقدر كمال احدها بموادها تنقص الاخرى لتقابل المكنين اولان الفهم يستدعي مزيد رطوبة في الدماغ والحفظ يستدعي مزيد يبوسة والجمع بينهما محال كما قاله الامام فخر الدين الرازي في كتابه المصنف في مناقب الشافعي ناقلاً له عن الحكماء . وان من العلماء من له قلم وكتابة وليس له بيان ولا جدل لان مزاجه يتغير بالمهارة والمدافعة غضباً أو حياء ويضيق قلبه انفعالا عن ذلك فيحصل الحبسة في لسانه بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه او لعدم دربته (١) ومهارته بالبحث او اعياه وحبسته اولان في العلم والكتابة استعانة على تشييع القوة النفسانية وضبطها عن التشتت وهذا مستمد مما ذكره الحكماء في كتبهم من ان

(١) الدربة بالضم هي الضراوة والاعتياد على الشيء والحبسة بالضم تنذر الكلام عند ارادته والعي المعجز عن النطق اه ملاحظاً من القاموس

نفوس السكبان لما ضعف استعدادها تشبثت بامور جزئية تكون مشيعة لها ومانعة من تشبتها كالسجع ورؤية الماء وسنوح ساحح . ومنهم من له بيان وجدل ولا قلم ولا كتابة له اما لفصاحته مع عدم وقوفه على حقائق العلوم واما لفساد تراكيبه اهمالا واحترازاً وان كان واقفاً على حقائقها والقلم يضبط العيوب ويكون شاهداً عليه بخلاف العبارة لا مكان المكابرة والاعتذار فيها وامكان تغييرها عند المضايقة واما لدبرته ومهارته في البحث وحسن انتقاله فيه وتغطيته على جهله وقلة مبالاته . وان من العلماء من يزيد علمه على عقله فلا يحسن الغطاء على مجهولاته ولا الاعتذار عنهما مع ان مجهولات الانسان اكثر من معلوماته بل لا نسبة لمعلوماته الى مجهولاته . ومنهم من يزيد عقله على علمه فيضع الاشياء في حاق (١) مواضعها ويضيف اليها روتقا وبهاء وتهويلات وتوهيما . وان من العلماء من له صوت لاهماله والبكاء صغيراً لفقر اهله اولتسليط البكاء عليه في المهد والمخرج رطبة لينة فيفتح العياط لهواته وتتسع مجاري صوته وتتصلب اوداجه . ومنهم من لا صوت له لعدم ذلك ومن لا صوت له مغلوب عاجز عن المباحثة حتى ان بعض الناس علمه صوته وفخره نغمه وما أحق هذا المقام بقول القائل .

فقلت لمحمد لما التقينا تنكب (٢) لا يقطرك الزحام

وان من العلماء من له علم بلا جاه ولا وجهة فلا يمكنه المقاومة ويتلعم لسانه ويتغير للاجلال ويدافعه الوهم ويقول فلا يلتفت اليه او يرد عليه رداً جاهياً تقبله العامة والله در القائل

اذا التقى الخليل في معسكرها فكيف حال البعوض في الوسط

والقائل حياة بلا مال حياة ذميمة وعلم بلا جاه كلام مضيع

ومنهم من له جاه وحاله في ذلك ظاهر لا يحتاج الى الكلام عليه . واذا تقرر لك ذلك كله علمت ان العلم اقبل شئاً للخفاء والجحد والتليس والتصنع وكيف الرواج بحرفة مجودة او خفية او يشارك فيها بالتليس والتمويه — ومنها ان مافي ايدي الناس انما هو

(١) في القاموس وحق الجوع (اي بتشديد القاف) صادقه ورجل حاق الرجل وحق الشجاع

وحاقها كامل فيهما اه (٢) اي اعدل عن طريقتي لثلاث تصرعتك مزاحمتي اه

ثمرة أموالهم وتكسباتهم بأعمالهم حتى لو فرضنا شخصاً خالياً من المال والتكسب لم يكن الا شحاذاً مكدياً وعلى قدر احتياج الناس الى نوع ذلك المال ونوع ذلك التكسب يكون نفاقه بينهم وبقدر (١) نفاقه تعظم ثروة صاحبه وغناه فلذلك لا تعظم ثروة اصحاب منصب القضاء والفتوى والتدريس غالباً وذلك لعدم احتياج جمهور الناس الى ما بأيديهم احتياجاً لازماً لا مندوحة عنه لما ان الامور المفتقرة الى القضاء تنفصل بغير قضاء تارة لرجوع المبطل عن عناده لوازع دين او عار أو خوف مترقب او نحوها وتنفصل بالسياسة وبوجوه الناس تارة أخرى ولما ان العلوم مباحنة لطبائع البعض ومهجورة عند البعض ومستثناة على البعض

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة من الطاعات ﴾

(ليس الا بعد كونها صناعة من جملة الصناعات وحرقة من الحرف)

هذه الدعوة مركبة من ثلاثة امور الامر الاول ان العلوم كانت حرقة من الحرف وصناعة من الصنائع . الامر الثاني ان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة وزال منها معنى الاحتراف والصنعة . الامر الثالث كونها كمالات وطاعات وبيان ذلك يفقر الى مقدمتين - المقدمة الاولى ان هذه الشريعة ناسخة لجميع الشرائع وأحكامها باقية بقاء الدهر ثم ان الاحكام كلها متلقاة من الله تعالى ولا مدخل للعقل في ايجاب ولا تحريم ولا غيرها ولذلك قيل في حد الحكم الشرعي خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقضاء أو التخيير فقيل خطاب الله لما ان السنة والاجماع والقياس ترجع اليه بالآخرة . والكتاب والسنة والحكم الشرعي مفتقر الى العلوم بأسرها -- وبيانه انه بالنظر الى المفرد الذي يستدل به وصحته في حالة افراده يفقر الى علم الصرف وان النظر في صحة التركيب يفقر الى علم النحو وفي تطبيق اللفظ على مدلوله يفقر الى علم اللغة وفي اظهاره واضماره والتفاته وتقديمه وتأخيره ونحوها مما يرجع الى مطابقة اللفظ لمقتضى الحال الى علم المعاني وفي حقيقته ومجازه وكنياته واستعارته ونحوها مما يرجع الى ايراد

(١) النفاق بالفتح رواج الشيء وبالكسر المداينة والخداع ومراد المؤلف الاول كما هو واضح اه

العلمين الى علم البديع وبالنظر في خاصه وعامه ومطلقه ومقيده ومجمله ونحو ذلك الى المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة الى علم البيان وبالنظر الى توابع هذين طائفة من علم اصول الفقه وفي مواقع القرآن الى أسباب النزول وفي استيضاح معانيه الى علم التفسير وفي نزوله على حروف متعددة الى علم القراءات وفي الاستدلال به وترتيب الادلة الى علم المنطق والجدل وآداب البحث وفي الاحكام الاستفادة منه وبواسطته الى الفقه وفي استنباط الفقه الى اصول الفقه - وان النظر في السنة يستلزم علم رواية السنة وحفظها وعلم الحديث والناسخ والمنسوخ وأسماء الرواة وكناهم وألقابهم ومشتبه أنسابهم وجرحهم وتعديلهم ووفاتهم والاخبار والقصص - وان النظر في الشارع يفتقر الى علم الكلام ثم ان العلوم بعضها مربوط ببعض ومتعلق به اما على سبيل الاستلزام أو على سبيل الاستمداد وهذه العلوم المذكورة تستلزم جملة من علوم الحكماء والاولئ ولو بواسطة أو وسائط كاستلزام الفقه بواسطة الفرائض والاقراءات الجبهولة علم الحساب وهو الارتماطيق وعلم الجبر والمناقلة وبواسطة اختلاف أحكام الوصية وما في معناها بالمرض الخوف وغيره واباحة التيمم بالمرض ونحوه الى علم الطب وكاستلزام علم الكلام للطبيعة والرياضة والمنطق وكاستلزام تعيين معرفة القبلة على كل واحد في رأي الرافي أو على مريد السفر في رأي النووي وهو من الفقه معرفة طائفة من الهيئة وكذلك معرفة دخول الوقت واستلزام الاستشهاد بالشعر في النحو والتفسير علم العروض وعلى هذا القياس قس تجد العلوم مرتبطة بعضها ببعض بالاستلزام أو الاستمداد -

المقدمة الثانية ان الحفاظ للقرآن بكامله في عصره صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبو زيد سعيد بن عمر الانصارى وأبو الدرداء عويمر وزيد بن ثابت وفي قول عثمان بن عفان وتميم الدارى وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الانصارى . وأصحاب الافتاء في عصره صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد ابن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري . ثم انتهت اصول العلم الى عبد الله بن مسعود وزيد ثابت وعبد الله بن عباس فأخذ عن ابن مسعود ستة عاقلمة

والاسود وعبيدة والحارث بن قيس ومسروق وعمرو بن شرحبيل. وأخذ عن زيد ابن ثابت أحد عشر رجلا ممن كان يتبع رأيه ويقتدى بقوله قبيصة بن ذؤيب وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير وابو سلمة بن عبد الرحمن وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وسعيد ابن المسيب وابان بن عثمان وسليمان بن يسار -- وأخذ عن ابن عباس ستة سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وطاووس هكذا رواه ابو بكر الخطيب باسناده عن علي المدني وروى الحاكم ابو عبد الله عن ابي العباس الاصم عن العباس الدوري قال انتهى علم الصحابة الى ستة عمر وعلى وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت انتهى - وانتهت اصول الرواية الى ستة أبي هريرة وأنس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعائشة. وانتهت اصول الاخبار والقصص الى ستة عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وطاووس اليماني ومحمد بن اسحق ومحمد بن عمر الواقدي - وانتهت صناعة التفسير الى ستة عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي هكذا ذكر هذا كله جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه المسمى تلقيح فهوم اهل الاثر في عيون التاريخ والسير ثم صار الامر من بعده صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان بويج له في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة . ثم بويج له البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وتوفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته سنتين واربعة اشهر الا عشر ليال . ثم استخلف عمر ابن الخطاب يوم وفاة ابي بكر بنصه عليه ثم قتل لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام . ثم استخلف عثمان بن عفان أول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت ولايته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا واياماً . ثم استخلف علي بن ابي طالب وقتل في رمضان سنة اربعين في يوم الجمعة وكانت خلافته

اربع سنين وتسعة اشهر واياماً ثم بايع الناس الحسن بن علي يوم موته فولياها سبعة اشهر واحد عشر يوماً ويقال اربعة اشهر ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الأمر لمعاوية وانخلع وبايعه في جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فانتقل الامر الي بني أمية وخلص لهم ثنتين وثمانين سنة الف شهر وعدتهم اربعة عشر رجلاً ولهم معاوية وخلافته سبع عشرة سنة وثلاثة اشهر وآخرهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ومدة ولايته نحو من ثمان سنين وبعد معاوية يزيد بن معاوية وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرين ثم بويع لابنه معاوية بن يزيد فمكث اربعين ليلة ثم مات وقيل خلع نفسه لصعوبة الامر عليه ثم بويع لعبد الله بن الزبير بمكة لسبع خلون من رجب سنة اربع وستين ثم قام مروان ابن الحكم بالشام بعد بيعة ابن الزبير بأشهر فبايعه جماعة من أهل الشام وذلك في المنتصف من ذي القعدة سنة اربع وستين ثم مات في رمضان سنة ٦٥ فكانت ولايته تسعة اشهر وثمانية وعشرين يوماً فقام مقامه عبد الملك ابنه وجهاز العساكر مع الحجاج ابن يوسف لقتال ابن الزبير وقتل ابن الزبير في المسجد الحرام بمكة يوم الثلاثاء اثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكانت ولايته تسعة أعوام وشهرين ونصفاً . ثم ولي الوليد بن عبد الملك وتوفي سنة ٩٦ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة اشهر . ثم استخلف اخوه سليمان بن عبد الملك وتوفي سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين الا اربعة اشهر . ثم استخلف عمر بن عبد العزيز وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام . ثم استخلف يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته اربع سنين وشهراً . ثم استخلف اخاه هشام بن عبد الملك وكانت ولايته تسعة عشر عاماً وسبعة أشهر وعشرة أيام . ثم استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته سنة وشهرين . ثم استخلف يزيد بن الوليد بن عبد الملك ثم بويع ابو اسحق ابراهيم بن عبد الملك . ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وقتل سنة ١٣٢ هجرية . ثم انتقل الامر الي بني العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم فتولى ابو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في ربيع الأوى وقيل الآخرة سنة ١٣٢ وتوفي في ذي الحجة سنة ١٣٦ فكانت خلافته اربع سنين وعشرة

أشهر . ثم تولى بعده أخوه المنصور ابو جعفر عبد الله بن محمد وكان اكبر سنًا منه وحبج فتوفى لسبع خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ فكانت ولايته اثنين وعشرين سنة الا شهرًا . ثم ولى المهدي بن محمد بن عبد الله بمكة وتوفى لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ وكانت خلافته عشر سنين وتسعة واربعين يوماً . ثم ولى ابنه الهادي موسى بن محمد وكانت خلافته اربعة عشر شهراً واحدى وعشرين يوماً . ثم ولى بعده أخوه الرشيد ابو جعفر هارون بن محمد فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً . ثم ولى بعده ابنه الامين ابو عبد الله محمد بن هارون وقتل في المحرم سنة ١٩٨ وكانت خلافته اربع سنين وستة اشهر واربعة وعشرين يوماً . ثم ولى أخوه المأمون عبد الله بن هارون في المحرم ومات ببلاد الروم لثمان خلون من رجب سنة ٢١٨ فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً . ثم تتابع العباسيون واحدا واحدا الى ان ختموا بالمستعصم ابي احمد عبد الله بن المنتصر بالله ابي جعفر منصور وكانت عدة خلفاء بني العباس سبعة وثلاثين خليفة وجملة أيامهم خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة ولم تكن ايدى بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والاقطار والامصار فقد خرج عن بني العباس بلاد المغرب وانما ذكرت هذه المقدمة بطولها لتعرف ترتيب الدول فان تغير الاحوال انما هو بتغيير الملوك وتتجدد العوائد بحسب احوال الملوك وسيتضح لك ذلك باذن الله تعالى — اذا تقرر ذلك فاعلم ان العلوم الاسلامية لم تكن مدونة ولكن اقتضتها الشريعة اقتضاء واستلزمها لزوماً وأفاضتها افاضة كما تقرر في المقدمة الاولى وتلقت الصحابة اصولها من حضرته صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم الوحي وتفقههم باسباب النزول وما أفاضته عليهم أنوار النبوة ثم تأبروا على الحق وتساءلوا وتناظروا واجتهدوا وتراجعوا عند اختلافهم الى من عنده مزيد علم بالمتخلف فيه وتواصوا وتعاونوا على امضاء الشريعة وتشريعها والزام الناس بها واكرام حملتها وملوك الناس علماءهم والعلماء الكبار قليلون كما مر في المقدمة الثانية على ما هو العادة في الأمور المبتدأة كيف تكون في مبدئها وأولها قليلة وما ظنك بالشئ المحتاج اليه مع قلته ويلزم من ذلك كله وفور الداعية في تحصيل العلم ومزيد الاعتناء به

والرغبة فيه ولذلك كانت الفضائل والكمالات والعلوم تأخذ في الازدياد والنمو لنفاق اصحابها ولبقاء انوار النبوة غضة طرية بين الناس وكلما ازدادت الشريعة تمهيداً ونشراً ازدادت الصحابة وحاشاهم من تعلق همهم بالدنيا سيادة ويسراً فلقد كثر المال في خلافة عثمان بن عفان كثرة بالغة لم يكثر قبلها في خلافة من تقدمه حتى جاء نصيب الفارس في غزوة افريقية ثلاثة آلاف دينار أو عشرين الف دينار فأطلقها كلها عثمان رضى الله عنه في يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان . ثم صارت الخلافة من الخلفاء الاربعة والحسن رضى الله عنهم الى الامويين فالعباسيين على ماتقدم في المقدمة الثانية وهم ما بين صحابي وتابعي ومدل بنسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم والشريعة التي العلوم خدمتها شريعة قريتهم وصاحبهم وسيادتهم وفخرهم واستيلاؤهم على الممالك به صلى الله عليه وسلم وبشريعته المستزمنة للعلوم على ما مر في المقدمة الاولى فكيف لا تأخذ العلوم في الانتشار والملوك والامراء والاعيان والقضاة والوزراء هم أهل العلم والفضل والعقل او الممدحين الكمل وشهرتهم وذكر اسمائهم في غالب خطب كتب الاقدمين تغنى عن عدوم بالاسماء فقل ان يخلو كتاب من كتب العلماء الاقدمين خصوصاً في العلوم العقلية والادبية الا ويذكر فيه ان الباعث على تدوينه وزير او قاض او أمير او من في معانهم ويلزم من ذلك قوة داعية التعلم وتوفر الارادة له لما ان المجانسة واتحاد المقاصد والتعاون على مقصد واحد واستمداد العلماء بعضهم من بعض وزيادة العلم ورسوخه بالبحث فيه والمذاكرة له كل ذلك مقتض للالفة والمحبة والاختلاط والعناية وألفة الملوك والاعيان ومحبتهم والاختلاط بهم يقتضى تأليفهم ومن يحبونه الى مقاصده ومآربه ولذلك بنيت المدارس بألوف الدنانير لجنس العلماء أو لواحد منهم بالقصد الاول ولجنسهم بالقصد الثاني واتسع الحال بالعلماء انفسهم حتى بنواهم لبنى نوعهم مدارس كثيرة وكتب التاريخ طافحة بهذا. ولذلك ايضاً بذلت الألوف في الارشاد الى تصحيح كلمة او مساعدة على مقصد علمي كحكاية النضر بن شميل مع المأمون وانه امر له بخمسين الف درهم يقبضها من الفضل بن سهل على ان ارشده الى ان السداد الذي بمعنى البلغة وسد الثمة بكسر السين لا يفتحها وان الفضل زاده من عند نفسه لذلك ثلاثين الف درهم فتم له ثمانون

الف درهم . وكحكاية ابى عثمان المازنى واحضار الواثق اياه من البصرة ليسأله عن نصب رجل أوقفه فى قول العرجى

أظلم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم
وأمره على توجيهه اياه بألف دينار . وكحكاية دعاج بن احمد بن دعاج ابو محمد
السجزى (١) الفقيه المعدل المحدث الرئيس صاحب الاموال الجزيلة التى أنفق اكثرها
فى العلم واهله المتوفى عن ثلاثمائة الف دينار سنة ٣٥١ حيث بعث بمسنده الى ابن عقدة
لينظر فيه وجعل فى الاجزاء بين كل ورقتين ديناراً وكحكاية عبد الله بن طاهر حيث
رتب للقاسم بن سلام ابى عبيد فى كل شهر عشرة آلاف درهم لما وضع كتابه فى غريب
الحديث وقال له ان عقلا يعين صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ان لا يروج لطلب
المعاش . وكحكاية على بن محمد بن الفرات من انه كان ينفق على خمسة آلاف من العلماء
والعباد ويجرى عليهم نفقات كل شهر وكغير ذلك من أخبار المدح والكلمات العلمية مما
يعنى تواتره المعنوى عن الاطالة به . ولذلك ايضاً كان التقريب والتبعيد والضعفة والشرف
على حسب الاستعداد والاستحقاق وذلك كله يستلزم كون العلوم والكلمات صنعة
من الصنائع وحرقة من الحرف لما ان الناس كانوا يرون احتياجهم الى العلماء فوق
احتياجهم الى الحاكة والباعة والصناع وباقى الحرف اضعافاً مضاعفة . وكان العلماء يسترزقون
بعلمهم ومعارفهم ويتخذونها ذرائع ووسائل الى مقاصدهم فوق استرزاق الحاكة والحاطة
أضعافاً مضاعفة فلذلك اتسع نطاق العلم ودونت الدواوين وصنفت الكتب وهذبت
ورتبت وبسطت واختصرت واستبحر العلم استبحاراً وذخرت امواجه واخذ الى أبعد
مسافة من اقطار الارض شرقاً وغرباً حتى ان علوم الشريعة كلها من التفسير والنحو
والاصول والمعانى والحديث اكثر اصحابها العجم على بعد قطرهم مع ان صاحب الشريعة
عربى وكتابه عربى والمتقون عنه وهم الصحابة عرب - ولذلك سبب اذكره استطراداً
وهو ان الشريعة لما استلذت العلم على ما مر وكان العلماء هم الملوك والاعيان وكان
نفاق العلماء والاحتياج اليهم فوق نفاق الحيايط والحداد والحائك والاحتياج اليه

واسترزاق العلماء بعلمهم فوق استرزاق هؤلاء بحرفتهم صار العلم حرفة من الحرف على ما تقدم وقاعدة الحرف ان موجوديتها وكثرتها ومهارة اهله يدور مع التمدن والحضارة فكما ازداد القطر تمدناً وحضارة ازدادت الحرف احكاماً ومهارة فلذلك لا تجد في القرى من المصنوعات ما يوجد في المدن ولا في صغير المدن ما يوجد في كبيرها لما ان رواج الحرف ونفاقها هو سر موجوديتها واحكامها لان الناس لا يضعون سلمهم حيث لا تقبل أولاً تنفق وكبر المدينة وكثرة اهلهما يستلزم النفاق لاحتياج الناس واختلاف اغراضهم وهمهم احتياجاً على البدل والتناوب الى المصنوعات واستلزام ذلك لحكم البدلية والنوبة عدم الشعور والخلو واقتضائه للنفاق لان توزيع المجموع على المجموع مع الكثرة على البدل والنوبة مستلزم لذلك لا محالة . ومملكة فارس والعجم كانت اكثر تمدناً وحضارة فلذلك انتشرت العلوم فيها واحكمت احكاماً بليغاً الى حد لا يوجد في غيرها لكثرة ناسها وعظم مملكتها. هذا كله في تبين ان العلوم كانت صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف - وأما الامر الثاني وهوان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف فذلك ان الحرف والدول لها شباب وهمم ولها عمر طبيعي كاعمار الحيوانات والامور المعنوية تتراجع وتنقص عند التناهي كالامور الحسية وكنا قد قدمنا أن العلوم اقتضتها الشريعة اقتضاء وان الصدر الاول تشايعوا على اظهار الشريعة ولوازمها وتوابعها فراج العلم والعلما لذلك ولاشك ان الدول بعد الخلفاء الاربعة وان كانت فوق عصرنا هذا في الانتظام والسداد اضعافاً مضاعفة لكنها دون عصره صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية على بن الجعد عن حماد عن سعيد بن جهان (١) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وخرج البيهقي في دلائل النبوة عن ابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكانتا خلافة ورحمة وكانتا ملكاً عضوياً

وكانت عتواً وجبرية وفساداً في الامة يستحلون الفروج والخمر والحريه وينصرون علي ذلك ويرزقون ابدأ حتى يلقوا الله عز وجل « وخرجه ابو بكر بن ابي عاصم في كتاب السنة بنحوه مختصراً. ولسر هذه الاحاديث تجدد في الدول بعده صلى الله عليه وسلم ما لم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم واستعجم الملك وتجددت فيه احوال فارس والعجم من الملابس الفاخرة والمساكن الأنيقة والحجاب ومضاعفة الحجاب ومن الوزراء والجاويشية والجوندارية واصناف امراء ووظائف واسماء لم تكن في عصره صلى الله عليه وسلم. وحدث تخطى الحدود والتعازير وتشنيع القتل وايقاعه بغير موجب شرعي وزالت احوال البداوة من خوف المذمة وشدة الحياء والكرم والتبذل في المأكل والملبس والمركب ومن اتخاذ التواضع خلقا وحدثت الحوادث وكثرت الخوارج والمتغلبون على العباسيين الذين يدلون بنسبهم اليه صلى الله عليه وسلم ونزلت سيادتهم بشريعته المستلزمة للعلوم كما تقدم فخرجت حصه من مملكة الشرق من ايدي العباسيين في دولة بني بويه على يد يحكم وغيره ثم زالت ايديهم عن العراق كله وخرج الحكم عنهم فيه اصلا سنة وشهورا في أيام ارسال البساسيري في حدود الحسين والاربعمائة ثم عاد الى ان اخرجه عنهم مطلقا واستأصلهم هلاكو بن طولى خان بن جنكيز خان وكان الصدر الاول يدبرون افعالهم على محض الشريعة ثم جاء من بعدهم فادخلوا فيها بالاستدلال والتمحل جملة من السياسة ثم فعلوا امورا سياسية وهونوها على الناس بالاعتذار ثم اتسع نطاق السياسة وأداز الملوك احوالهم على عقولهم وحدث جنكيز خان الياساق الذي وضعه وجعل الناس يتحاكمون اليه ويطلع الي جبل ويزعم انه يوحى اليه به واكثره مخائف لشرائع الله وكتبه وانما هو شيء اقترحه من عند نفسه بعد الستمائة وأوحاه الى شيطانه وكان يكتب. اساقه في مجلدين بخط غايظ ويحمل على بعير ويبالغ في تعظيمه وكثرت الحوادث السياسية والامور العقلية المخالفة للشريعة واستغناء الحكام بعقولهم مما يقتضى طبي بساط العلم ويفضى الى عدم الاحتياج اليه فان النفوس حكوية من شأنها المحاكاة في الشر وهما صدر شيء وزال بقى منه أثر في النفوس وزواله الظاهر لا يستلزم زواله من النفوس وزوال الاستدلال به وروايته على سبيل الاستحلاء والاستحسان وهذا كله

يستلزم طي بساط العلم وعدم الحاجة اليه لما ان العلوم من لوازم الشريعة وتوابعها كما قررناه
واعدناه غير مرة واذا ضعف العمل بالمزوم وتسهل فيه فالولى ان يضعف العمل
باللازم ويتساهل فيه ولذلك لم يبق من العلم سوى رسومه ومعاهده كالمدراس القديمة
وسوى ما يوجبها ناموس الاسلام من الاعتراف بحقه ظاهراً فقد اتضح عندك خروج
العلوم عن كونها مظنة الاستحقاق ومطية الاسترزاق وكيف لا وقد صارت الوظائف
الدينية تباع كما يباع الفرس والحمار وهو الذى يسمونه نزولا واعراضاً ويوصى بها كما
يوصى بالقوس والدار وهو الذى يسمونه نزولا ايضاً وتورث كما تورث الاموال يأخذها
الصغار والاطفال. وانت اذا راجعت ان كثرة الحوادث الخارجة عن الشريعة تحدث في
النفوس محاكاة واثراً واستدلالاً وان الناس على دين مليكهم وهم بزمانهم اشبه منهم
بآبائهم وان الملوك اسواق يحمل اليها ما ينفق فيها وان الصنائع تدور مع النفاق وجوداً
وعدماً وان وثوق المحترف من الباعة والحاكة والخاططة بافضاء حرفهم الى ثمرتها اكثر من
وثوق العلماء بافضاء علمهم الى ثمرته الدنيوية وأن اهمال الصنعة والاستغناء عنها بغيرها
يوجب اضمحلالها وزوالها وما نسب لذلك مما تجده وتشاهده من اهمال المنطق والحكمة
بالشام واستعماله بالروم والعجم تحققت ان العلوم خرجت عن كونها صناعة من الصنائع
وحرقة من الحرف اللهم الا ان يحياها الله تعالى وينشرها ويبثها في أيام الملك المؤيد
وينشرها فهو الذى عمر المدارس بمصر والشام بمعروفه وبره وبارائه الموقفة وساطع امره
وقبره واحياء معالم العلم شرعه وشعره اتقى الله دولته بقاء الفرقدين ومملكه ما بين المشرقين
واما الامر الثالث وهو كون العلوم كمالات وطاعات فهو ان الانسان انما ينفصل
عن الحيوان بالنطق وليس المراد به الصوت المنضغط فى الجرى على مقاطع الحروف والا
لكان الاخرس غير انسان ولا الكلمات المنتظمة والا لكانت البيغاء والغراب انسانا
وانما المراد به النفس الناطقة وهى التى لها الفكر والروية ومحبة العلم والمعرفة وهى التى
تتملك الطبائع القياسية وغير القياسية وتكون فلسفية وحكومية وتبحث عن العلوم النظرية
ولها الاستدلال بظواهر الامور على بواطنها ومعرفة ترتيب الموجودات فى الوجود وهذه
لقوة كمالها وحياتها بالعلم والبيان فتميز الانسان بما هو انسان بالعلم والبيان والافغير الانسان

من الدواب والسباع اكثر اكلامه واقوى بطشاً واكثر جماعاً واولاداً واطول عمراً
وانما يتميز عن الدواب والحيوان بعلمه وبيانه فاذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه
وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شراً
منهم كما قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) فهو لاء هم
الجهال (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم) وقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً) سواء كان المعنى مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع من الدواب او مثل الذين كفروا حين ينادون كمثل دواب الذي ينعق فهو لاء لم يحصل
لهم حقيقة الانسانية التي يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان. وايضاً فالجهل من اعظم الادواء
والامراض وقد سماه الله مرضاً في قوله تعالى في حق المنافقين (في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضاً) وقوله (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون) وفي قوله (ليجعل ما يلقي
الشیطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) فان المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة
وكذلك امراض القلب جميعها من الشهوة وغيرها كالرياء والعجب والحسد والفخر كلها
ناشئة عن الجهل فانها مركبة من الشهوة والشبهة فان الكبر مثلاً مركب من تخيل عظمته
وفضله وارادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم اياه ودواء هذه الامراض كلها العلم ولذلك
أكثر الغزالي رحمه الله في ربيع المملكات من ذكر دواء العلم في كل مرض مرض من
امراض القلوب ولهذا سمي الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور ولذلك ايضاً تربي داء
الجهل متاعاً للاموال غالباً قرب شخص يتحيل عليه بحيلة شرعية يجعلها طريقاً الى اخذ
ماله ولولا جهله بالشرعية لما تمت عليه — وايضاً ما روى عن ابن عمر يرفعه « افضل
العبادة الفقه » وقال عمر رضي الله عنه « موت الف عابد أهون من موت عالم بصير بجلال
الله وحرامه » وما رواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه عن ابن عمر يرفعه « مجلس فقه
خير من عبادة ستين سنة » وما رواه ايضاً من حديث عبد الرحمن بن عوف يرفعه « يسير
الفقه خير من كثير العبادة » قال ابن قيم الجوزية في مفتاح دار السعادة وفي رفعها نظر
وما رواه ايضاً من حديث انس يرفعه « فقيه عند الله افضل من الف عابد » وهو في
الترمذي من حديث روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً قال ابن القيم

وفي ثبوتها مرفوعين نظر والظاهر ان هذا من كلام الصحابة فمن دونهم وما رواه
المخلص عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل بن مربع حدثنا حجاج بن نصير حدثنا
هلال بن عبدالرحمن الجمفي عن عطاء بن ابي ميمونة عن ابي هريرة وابي ذر قال « باب
من العلم تعلمه احب الينا من الف ركعة تطوعاً و باب من العلم نعلمه عمل به او لم يعمل
احب الينا من مائة ركعة تطوعاً » وما رواه الخطيب ايضاً عن ابي الدرداء انه قال
« مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة » وما رواه ابو داود والترمذي من حديث ابي
الدرداء رضى الله عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقاً
يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضا لطالب العلم
وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم
على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم
يورثوا درهما ولا ديناراً انما ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر » أما وضع الملائكة
اجنحتها فتواضعاً وتوقيراً واكراماً لما تحمله من ميراث النبوة لانه طالب لما فيه حياة
العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم مناسبة لان الملائكة يحرصون على
منافع البشر يمينونهم على أعدائهم الشياطين ويستغفرون لمسيئتهم قال الطبراني سمعت
ابا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال كنا نمشي في بعض الازقة الى باب بعض
المحدثين بالبصرة فأسرعنا المشي وكان معنا رجل تاجر متهم في دينه فقال ارفعوا
أرجلكم عن اجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى حفيت
رجلاه وسقط وأما استغفار من في السموات ومن في الارض له فانه لما كان ساعياً
في نجاته العباد جوزي من جنس عمله وجعل ما في السموات والارض ساعياً في نجاته
وقيل سبب هذا الاستغفار ان العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم كيفية تناولها
واستخدامها وذبحها فاستحق ان يستغفر له البهائم وقوله فضل العالم على العابد كفضل
القمر على سائر الكواكب مطابق لحال القمر والكواكب فان القمر يضيء الآفاق
ويمتد نوره في أقطار العالم وهذه حال العالم واما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه وما قرب
منه وهذا حال العابد — ووجه اختيار القمر على الشمس وان كان الشمس اكثر

نوراً وإضاءة أن القمر لما كان نوره مستفاداً من الشمس كان تشبيه العالم الذي نوره مستفاد من شمس الرسالة بالقمر أولى من تشبيهه بالشمس أيضاً فنور القمر يتفاوت بتفاوت الليالي تقصاناً وتماماً والشمس نورها في كل الايام على السواء والعلماء يتفاوتون في العلم تفاوتاً كثيراً فتشبيهم بالقمر أنسب لحالهم - واما تشبيه العلماء بالنجوم في قوله صلى الله عليه وسلم « اصحابي كالنجوم ، فمن وجه آخر وله حكمة اخرى فان النجوم يقتدى بها في ظلمات البر والبحر وتكون رجوماً للشياطين والعلماء كذلك يقتدى بهم في ظلمات الجهل والكفر وترجم بهم الشياطين الذين يوحون الى اوليائهم زخرف القول غرورا

الفصل السابع

(في السبب في غلبة الفلاكة والاهمال والاملاق على نوع الانسان و بيان ذلك)
اعلم ان المفلوكة والاهمال والاملاق غالب على جنس البشر والسبب في ان غالب البشر (١) يرمقون العيش ترميقاً ويدافعون اخفاق المساعي مدافعة ويتسكعون في طرق الاملاق او فوقه بقليل تسكماً أن السيادة والمجد والثروة والغنى وأشباهاها اما مكتسبة واما موروثه فاما المكتسبة فما سوى الامارة من المعاش الطبيعي اما تجارة او فلاحه او صناعة فالتجارة مفتقرة الى مادة متسعة ورأس مال كبير يدار في وجوه الارباح والتمير ويوزع على أنواع المتاجر لينجبر كساد بعضها بنفاق الآخر وليستعان بالنفاق على ادخار الكاسد ارتقاباً لحوالة الاسواق واستدراراً للنفاق ولكيلا يباع الكاسد في حال كساده وذهاب ربحه وفساده وأيدي الناس خالية عن الاموال المقنعة القابلة لمثل ذلك غالباً - وأيضاً فهي محتاجة الى بصيرة تامة ودراية وافية وتجربة كاملة ليؤمن بها غش الباعة وخلابتهم وترويج السماسرة كواسدهم ومفتقرة ايضاً الى فراسة صادقة وحدهس صحيح ليضع كل سلعة في حاق موضعها زبوناً وسوماً وترخيصاً واغلاء وحلولا وتأجيلا وادخاراً وتعجيلا ونفوس الناس غالباً ظلمانية لحلوها عن العلوم العقلية والاعمال الرياضية فهي بعيدة عن البصيرة - وأيضاً فالأيدي الغاصبة الخاطفة مستولية

(١) في القاموس الترميق العمل بعمله ولا يحسنه يتبلغ به وهو مرمق العيش ومرمقه كمعظم وعمر ضيقه اه وقوله ويتسكعون اي يذهبون متحيرين لا يدرون اين يأخذون اه

على التجار لمقهوريتهم مع الدولة وحامية الملك وخاصته المخادعين بالاستدانة والارباح الكاذبة والمواعيد الباطلة والرهون الغير المملوكة والاتجاه الى الاعسارات والحيل الشرعية والاستعانة بشهود الزور ووكلاء السوء وربما تكرر ذلك على التاجر الماهر فعاقه واقعه عن أمثاله حتى أتى على رأس ماله - وأما الفلاحة فعوارضها المساوية أكثر من ان تعد من البرد والهواء المفرطين وانقطاع المطر وكثرتة في غير وقته ونزول كبار الحصى والبرد وثقيل الثلج وشدة الحر ومجىء الجراد المنتشر وكذلك العوارض الارضية من سوء النبت وسباخة الارض وخبث طينها ووضع الاشياء متأخرة عن أوانها وعدم استكمالها بجراثمها وشروطها ونبات الاشياء المضرة خلال الاشياء المطلوبة ومن الجرذ والفار واليربوع ومن رخص البقول والخضراوات وما في معناها مما لا يقبل الادخار مع غلاء بذرها ومن عدم نصيحة المعاوين فيها وخبائثهم واختلاسهم وتفويت الاعمال الكفالية المصلحية وتسيط الظلمة عليهم واستعبادهم وتوسيع شروط مقاسمتهم وفرض الفرائض والتفنن في وجوه الجبايات وانواع الظلامات والجائهم الى بيع زراعاتهم في حال كسادها وعدم رواجها مع ما يختص به أهل البدو من رداءة العيش وخشوتته والبعد عن أحوال الحضارة من الرفاهية والترف وموجودية المطالب والتحلى بالعلوم ثم مع ذلك كله ما هم عليه من دخول المهانة في قلوبهم وظهورها في أحوالهم وعلى شمائهم وناهيك قوله صلى الله عليه وسلم « ما دخلت السكة دار قوم الا دخلها الذل » - وأما الصناعات فقللة الماهر الخاذق فيها وعلى الجملة فالصنائع شاغلة لأصحابها عن الدعة والراحة والرفاهية ويطرقها الكساد كثيرا ونفاقها لا جدوى له ولا يحظى صاحبه بطائل واصحاب الصنائع باذلون رقيهم وعبوديتهم بأقل قليل للفقير والغنى والمسلم والذمي فهم يمرحون عن الشهامة وعلو الهمة والانفة - ثم جهات المعاش الثلاثة مفتقرة الى التعاون والتناصح وقد انقطعوا من كافة البشر او عامتهم لاتساع موجبات التباغض والتماقت لكثرة مقتضيات التحاسد والحيلولة كل واحد الآخر عن مراده الناشئة من الكبر والعجب والعداوة وخوف الازدحام على مطلوب واحد. ولفوات بعض المقاصد بكثرة الشركاء وحب المباهاة والانفراد بالمجد وخبث النفس وفساد

جوهرها وتقص انسانيتها - وايضاً يقال على وجوه المعاش انثلاث انه كلما تجدد للانسان دخل جدد له صرفاً اما للمباهاة والترفع على امثاله أو افراطاً في الشهوات وانهما كما في اللذات أو خوفاً من سوء القالة والاحدوثة بتنقيص ما يقتضيه حاله او باكره مبغض لتلك النعمة عليه أو لان الحالات المتجددة في دخله يلزمها تجدد امور في صرفه فلا يزال الشخص مملوكاً مهملًا غير قادر على المكارم - وايضاً فوجوه المجد والسيادة الكسبية لا تصير دفعة وانما تكون بالتدرج والترقي ومكابدة تنميتها ومعالجة زوال موانعها مع كثرة الصادين عنها والعوارض العائقة لها أمر عسير بطيء السير فيقضى الانسان شطر عمره أو معظمه في فلاكة وادبار - هذا حكم وجوه المعاش الطبيعي وأما غير الطبيعي كالاسترزاق بالكيمياء والتنجيم والدلالة وقلم الشهادة لغير المعروف وسائر الارزاق الهوائية الخطفية الصدفية فهي ارسخ قدماً في الفلاكة والادبار لانها بمنزلة اللقطة والثور على دفائن الارض لعدم انتظامها ووفاء محصولها لحوها فاصحابه لا سيما غير المشهور منهم أئمة الفلاكة وهيولها وينابيعها ومأواها اعاذنا الله من ذلك ومن الاختلاط بأهله آمين - وأما الامارة فلا ينكر أن مبادئها مشتملة على نصيب وافر من الفلاكة والادبار وبيانه ان الامرة لا تتم الا بالمصيبة والتغلب والشوكة وفي قمع المعاند والجاحد وتأليف القلوب المتفرقة وتمهيد المسالك والقيام بحق لا تحصى كثيرة معاناة شدائد ومكابدة مكائد ومشاق وتعريض النفس للهلاك وكبراء الجند مستعبدون مع ملكهم مشغولون به عن أنفسهم مقدمون لمراده على مرادهم ولو سلم ان السلطنة خالية من الفلاكة فهي من القسم النادر والدعوى ان الفلاكة غالبية على نوع الانسان لا انها لازمة لكل نوع الانسان - هذا كله من المكتسب أما الموروث فيطرقة أنواع من الفلاكة منها امتداد أيدي الولاة والحكام اليه - ومنها مذلة البتيم وخضوعه وفقده نصيحة ابيه - ومنها سهولة صرف ماله عليه لعدم تحمله مشاق جمعه وتجشمه نصب الجبائل في تحصيله فيسرع فيه بالسرف والتبذير والسفه لعدم حنكته وبصره بعواقب الامور ويعود يتكفف الناس - ومنها عجزه لعدم مهارته ودرسته عن الوفاء بمقاصد ماله والقيام بشروط تنميته وشميره فيذوب قليلاً قليلاً الى ان يضمحل ويتلاشى ولا يحصل

منه الا على الملامة والتعبير والندم - ومنها انكار المنكرين كونه في رتبة مورثه ومستحقاً لما كان يعاون به مورثه ويساعد عليه فلا يؤمنون على دعائه ولا يساعفونه على قصده ولا يسرون معه سيرة مورثه فيقع من ذلك في العناء العظيم والداء العقيم وبهذا التقرير يعلم ان الفلاكة غالبية على نوع الانسان وارثاً كان أو كاسباً والله أعلم

الفصل الثامن

(في ان الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية)

هذا الذي قدمناه في الفصل قبله لما كان لا ينتهض دليلاً الا على غلبة الفلاكة المالية على نوع الانسان احتجنا ان نذكر في هذا الفصل أن ذلك مستلزم للفلاكة الحالية وأعني بالفلاكة الحالية تعذر المقاصد وانعدامها بحيث تصير الفلاكة حالاً ووصفاً ذاتياً للشخص في افعاله واقواله دفعاً وتحصيلاً حكماً وتعليلاً - والدليل على ذلك ان تقول هذا مفلوك الا وكل مفلوك الا فهو مفلوك حالاً ينتج هذا مفلوك حالاً وكلية الكبرى بديهي أو حسي والصغرى مسامة بالفرض أو محسوسة أو تقول دارت الفلاكة الحالية مع الفلاكة المالية وجوداً وعدماً والدوران آية كون المدار علة في الدائر والمعلول لا يفارق علته فهو إما مقارن أو متعقب على اختلاف المذهبين وهذا وان كان بديعاً وهو الاستدلال بالدوران على العلية وبالعلية على مقارنة المعلول اياها فليس بعيداً من القواعد أو يستدل بالدوران على الملازمة وبالجملة فالدعوى تكاد تكون بديهية والحس والاستقراء يصدق ذلك - ويوضح ذلك ان المال عبارة عن ملك الاعيان والمنافع والجاه عبارة عن ملك القلوب واستسخار اصحابها في الاغراض والاعمال لما فيها لذي الجاه من اعتقاد الكمال والاتفات اليه والمفلوك لا جاه له ولا مال وكل من لا جاه له ولا مال له فهو مسلوب القدرة لما ان الجاه والمال من أعظم أسباب القدرة أو هما أسباب القدرة ومن لا قدرة له فهو عاجز عن الوصول الى مطلوباته لما ان مقدوراً بلا قدرة محال ولذلك لا يحصل مقصود لمفلوك نادراً الا بقدرة غيره من ذوى المال والجاه. ولذلك أيضاً لو فرض شخص لا مال له ولا حرفة لم يكن الا شحاذاً مكدياً لان مافي أيدي الناس انما هو ثمرة أموالهم ومنافعهم - وأيضاً من لا قدرة له لا يتعلق الرجاء والخوف به ومشايعة الناس الشخص وساعدتهم

ايه على مراده دفعا وتحصيلا وتسليمهم له حكما وتعليللا لا بد لها من داعية وغرض ليرجع احد الجائزين من الفعل والترك على الآخر مرجح وأعظم الاغراض والدواعي تعلق الرجاء والخوف بالشخص لما ان الانسان يقدر هجوم الحاجات وطروق الآفات وسوء الظن بالعواقب كما ان في النفوس لا سيما في البلد الذي لا يكمل عدله ولا يتراحم أهله ولذلك لا تمل الاستزادة من الدنيا قال صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثا » وقال صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال » وذلك لان هذه المخاوف لا موقف لها ولا لها قدر مخصوص فمن تعلق رجائه أو خوفه بشخص كانت مساعدته له لا امر يتعاق بنفسه بالآخرة وكان دافعا لالم خوفه وساعيا في تحقيق رجائه والشخص أنصح ما يكون لنفسه لان نصحه لها طبعي فلذلك تساعف الناس الاغنياء بمراداتهم وتترلف الخلق اليهم بمطالبهم ويسعفونهم بمنافعهم تسليفاً وادخارا لخوف مترب او رجاء متوهم وان لم ينالوا من ما لهم ذرة ولا من جاههم مثقال خردلة واذن كانت المفاليك عن الرجاء والخوف بمعزل — وايضا فالدنيا محل الازدحام والتوارد على محل واحد بخلاف الآخرة ولذلك لا حسد في الآخرة لا تساعها ووفائها بالكل بلا ازدحام فما من مقصد يرومه المفلوك الا وله فيه مزاحم ومدافع يمانعه عنه وتقديمه على غيره ترجيح للمرجوح على الراجح وهو خلاف صريح العقل ويلزم من ذلك تعذر المقاصد على المفاليك واخفاق مساعيهم فيها — وايضا فالاغنياء وذوو الجاه يتقارضون المقاصد تقارضاً ويقترضونها اقتراضاً والتقارض يستدعي القدرة على الوفاء بالنوبة بحكم المقارضة لانه امر على التعاقب والنوبة والتقرض لا يوضع عند المعسرين والمفاليك ليسوا من اهل المقارضة ولا الاقتراض على ان استنزام الفلاكة المالية للفلاكة الحالية كفلق الصبح عند المنصفين ولعل جرده مكابرة والقاعدة ان المكابرة لا يطلب لها دليل والله أعلم

الفصل التاسع

(في ان التملق والخضوع وبسط أعذار الناس والمبالغة في الاعتذار اليهم
واظهار حبهم ومناصحتهم من أحسن احوال المفلوكين وأليق
الصفات بهم وأفضاها الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك)

اعلم أن الناس لا يبذلون منافعهم وأموالهم سدى بغير غرض ولا علة لان المتعالى
عن وجوب تعليل أفعاله بالاغراض والمصالح انما هو الله تعالى وان خالفت المعتزلة في
ذلك فلا بد للاحسان اعم من أن يكون نفعاً او مالا قولاً او فعلاً من غرض وحظ هو
عند البازل أوفى بما بذله وتحصيله عنده أحب اليه من ذلك المبذول فكما ان الشخص
لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه كذلك لا يضع ماله في يد انسان ولا غرض له
فيه وذلك الغرض اما آجل وهو جزيل الثواب في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ايا
امرئٍ اشتهي شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر الله له » واما عاجل في الدنيا وهو
اما ترقب المكافأة باحسان مثله نوعاً او جنساً او المنة والترفع أو الثناء والصيت والاشتهار
بالسخاء والكرم او جذب القلوب الى طاعته ومحبته واستسخارهم او ازالة مذمة البخل
وخبثه والنفرة الحاصلة للبخلاء واستقباحهم عنه أو ازاحة حب الدنيا الذي هو رأس كل
خطيئة عن قلبه أو ازاحة رقة الجنسية ورحمة النوعية عن قلبه ودفع الألم الحاصل له من
الرقة بسبب سوء حال من يحسن اليه أو دفع ألم خوف حاضر أو مترقب. والاستقراء
يدل على الحصر. ثم ان بعض هذه الاغراض أقوى من بعض وبعضها أدوم وأشد
بياناً من بعض فلاحسان بالوارد الاخروي قليل الثبوت والاستمرار الا من وقفه الله
تعالى وأيضاً فأعمال الخير تتعارض وينوب بعضها عن بعض والاعمال البدنية أسهل
علي النفوس في تحصيل مطلوب الآخرة من الاعمال المالية وبتقدير ثبوتها فانما يثبت
جنسها وأما انحصارها في مفلوك بعينه فأقل ثبوتاً بل لو قيل بعدم ثبوتها في مفلوك بعينه
اللبتة لم يكن بعيداً فلا يفيد المفلوك التعويل عليها. وأما حب المنة والترفع فليس شاملاً
لعامة الخلق ولا لمعظمهم لان النفوس المستشرقة للكارم والمعالي تأباه وتنفر عنه وانما

ذلك غالباً ممن يصدر عنه الاحسان تكرماً وتطبعاً وتكلفاً لا طبعاً فهو من فساد جوهر
الانسانية وقولنا لا يكون غالباً لان الكلام فيمن يصدر منه الاحسان لا في مطلق
الانسان فلا يجمل بالمفلوك جعله رأس ماله لانه حينئذ يكون قدرضى بأقل الناس عدداً
وأفسدهم جوهرآ . وأما حب الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم فذلك يقتضى
وضع المكارم فى الناس على البدل والنوبة وتعميم العطاء للنظير والاعلى والادنى
ويكتفى من الواحد بالشخص بالمرّة والمرتين والثلاثة لان الغرض اقامة الحجّة وبسط
المعذرة فلا يحسن أيضاً بمفلوك التعلق بمحسن هذا غرضه لانه ماذا عسى أن يحصل
من المرّة والمرتين ولان العطاء العام قد لا يصادفه لان الاستدلال بالاعم على الاخص
ممتنع . وأما جذب القلوب الى الطاعة والمحبة والاستسخر فهو أيضاً مما لا يوصل مفلوكا
الى غاية ولا الى مطلب يؤبه له وقصاره ان يوصله الى مبادي الخير لان الغرض اقامة
الحجّة عليه واستعباده وذلك يحصل بأدنى مرتبة يمكن استعباد مثله بها . وأما ازالة مذمة
البخل ووضره ونفرته فلا يختص بافاضة الاحسان على المفاليك بل قد يحصل بتنعيم
النفس واطهار بزتها وزينتها وباللبسط على العيال وضيافة النظير او المساوى في المنزلة
 . وأما ازاحة رقة الجنسية فتستدعى حالا غير مرضية تستنزل بها الرحمة زيادة على
الفلاكة اذ الفلاكة الدائمة تعاد وتؤلف فيضمف كونها طريقاً للرحمة وتلك الحال
الزائدة تربو على الاحسان مرارها اضمافاً مضاعفة ثم ان رقة الجنسية من أمور
الآخرة وفيه من البحث ما تقدم ولذلك كانت ازالة حب الدنيا عن القلب من أمور
الآخرة وفيه من البحث ما تقدم — واذن تقرر ان الناس لا يبذلون منافعهم
واموالهم بغير غرض بل لا بد لهم من غرض اما عاجل أو آجل والمفلوك تمنعه الفلاكة
عن المكافأة على الاحسان باحسان مثله وتمنعه أيضاً من الاخافة والأمر التي
مرجعها الآخرة لا تبقى ويكتفى ببعض اعمال الخير البدنية عنها وغيرها لا يخص مفلوكا
بعينه ولا يوصله الى غاية يؤبه لها ثم ان ماسوي رقة الجنسية أمور راجعة الى البازل
وحده فلا بد في المفلوك من تحريك بواعث الناس بأمر يرجع نفعه اليهم ويكون وصفاً
للمفلوك نفسه ويدخل تحت قدرته دائماً لتبقى داعية الاحسان متحركة دائماً لا تسكن

لقدره المفلوك على تحريكها كل وقت — فبخضوعه وتملقه تظهر سيادتهم وعزمهم ويؤمن
كبر المفلوك عليهم وتيهه وصفه باسعافهم بمراده ويبسط اعذارهم يأمنون حقه فيعاودون
الاحسان اليه وان سلقوه اساءة وأذى لان الاساءة طبيعية للبشر للقوة الغضبية وما ان
في القلب ميلاً للاخلاق السبعية ولان في النفوس محاكاة في الشر ولان دخول الشر
تحت القدرة أكثر من دخول الخير كالصدقة والعداوة والبناء والهدم والمفلوك مظنة
للاساءة اليه لوجود المقتضى وانتفاء المانع فلا بد ان تعمل الطبيعة فيه عملها ولا دواء لهذا
الداء الا بسط الاعذار قال ابو الحوثر الواسطي

دع الناس طراً واصرف الود عنهم * اذا كنت في أخلاقهم لا تساع
فشيئان معدومان في الارض درهم * حلال وخل في الحقيقة ناصح
وقال بشار بن برد

اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
والمبالغة في الاعتذار اليهم يتجاوز عن تقصيره وقصوره وعجزه اللوازم للفلاحة
لان للاغنياء شوافع من غناهم عن ذنوبهم قد تغنيهم عن الاعتذار بخلاف المفاليك
و باظهار حبههم ومناصحتهم يجدون فيه روحاً ونفعاً راجعاً اليهم فيكون اسعافهم له بمراده
من لوازم سيادتهم وراجع بالآخرة اليهم ولكون هذه الامور اكثر افضاء بالمفاليك
الى مقاصدهم تجد الاسافل ترتفع على الاعالى كثيراً لان نفوس الادياء لا تأنف
من الخضوع والتملق بخلاف الاعالى وقلمما تخلو دولة من ذلك والسبب فيه ان الدولة
اذا اقترضت وجاءت دولة اخرى فأصحاب الدولة الاولى يكونون في نهاية سعادتهم
ففيهم شمم وأنفة ومطالبة لصاحب الدولة الجديدة بحقوق لم يعطوه عليها ثمناً بل هي مما
أوجبها خدمتهم في الدولة الاولى والوقت سيف والحكم للوقت ولصاحب الدولة الجديدة
نصحاء و متملقون وان سفلت بهم المرتبة وسياسة الملك تقتضى تقديم من في تقديمه نظاه
وأبته لاجرم ترتفع الاسافل على الاعالى كثيراً -- اللهم لا خير الاخيرك ولا طير الاطيرك
ياخالق الاسباب والمسببات والدواعي والبواعث والعزمات لاتجعل الدنيا اكبر همتنا ولا
مبلغ علمنا وأشهدنا عظيم رحمتك حتى لانرجو أحداً سواك وتجل علينا ببالغ قدرتك حتى

لا نخاف احداً غيرك اللهم انك تعلم ان الخضوع لغيرك والتعلق لسواك فوق صبري
وقاطع لظهري لا يبلغه وسعى ويضيق عنه ذرعى فأغتنى بك عما سواك يا رب العالمين
آمين آمين

الفصل العاشر ❦

(في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل)

واقدم قبل الشروع في ذلك مقدمة - قال القاضي عياض في أخرويات الشفاء
ما ملخصه ان من استشهد بأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الدنيا على
طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو على التشبه بهم عند هزيمة نالته أو غضاضة لحقته
ليس على طريق التأسى والتحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أو الهزل أو اعلاء في
وصف كقول القائل ان كذبت فقد كذب الانبياء أو صبرت فقد صبر أولو العزم
وكقول القائل

فرّ من الخلد فاستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان

فحقه ان دريئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شناعة مقاله ومأنوف
عادته وقرينة كلامه أو خلاف ذلك لان كلامه وان لم يتضمن سباً ولا غصاً فما وقر
النبوة ولا أعطاها حقها - وقال أيضاً في ايراده حكاية ما ملخصه ان حكاية الاقوال
الغير السديدة تدور بين الوجوب والاستحباب والمنع فقد أجمع السلف والخلف من
أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدّين في كتبهم ومجالسهم ليبيّنوها للناس
وينقضوا شبهها عليهم وحكى الله مقالات المقترين في كتابه على وجه الانكار والوعيد
عليها وكذلك الحكاية على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله
والتنفير عنه والتجريح له فهذا دائر بين الوجوب والتدب وأما حكاية سبه صلى الله عليه
وسلم والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
فكل ذلك ممنوع وبعضه أشد في المنع فما كان عن غير قصد أو غير عادة ولم يكن من
البشاعة حيث هو ولم يظهر استحسانه زجر ونهى عن العود اليه وان قوم ببعض الادب

فهو مستوجب له وان اتهم انه اختلقه أو كانت تلك عادة له أو أظهر استحسانه لذلك أو كان مولعاً بالتحفظ لمثله قتل - ثم قال وقد أسقطوا من احاديث المغازي والسير ما هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء يسيرة ذكروها غير مستبشرة ليروا نعمة الله من قائلها وأخذ المفتري عليه بذنبه انتهى ملخصاً فخرج من كلامه ان ذكر الاحوال المدخولة حكاية كان او استشهاداً والانكار والتعريف والرد وتبيين ما لله في ذلك الفعل من الحكمة في الحكاية - وانما قدمت هذه المقدمة لانا سندكر تراجم العلماء الذين زوى الله عنهم الدنيا في مساق الفلاكة فقد يقول من شم طرفاً من الفقه ان ذكر العلماء في مساق الفلاكة غض من قدر العلم وتهاون بجرمته - والجواب عن هذا التوهم أما أولاً فما قاله القاضي على ما قررناه في كلامه على ان مقاله القاضي عياض رحمه الله من التفصيل انما هو في الله تعالى وملائكته وانبيائه - وأما ثانياً فلا نسلم مجيء مثل هذا التفصيل في الحكاية عن العلماء ولو سلم مجيئه في العلماء فلا نسلم مجيئه في التراجم لان أوصاف الكمال وأوصاف غير الكمال كل واحد منهما يشعر وصفه ونسبته الى الشخص بانتقال لا آخر عنه ورفعته فلو اقتصر في التراجم على احدهما لكان تليساً وتدليساً واغراءً وحملاً على الجهل وهذا ان لم يعين أو يرجح ذكر الترجمة بطرفها فلا أقل من أن يقتضى عدم المنع من ذكرها بطرفها - وقد يقال لاحاجة بنا الى هذا البحث لان لفظ الفلاكة والمفلوك محتجب في هذا الفصل الا نادراً وانما نذكر فيه تراجم العلماء ناقلين لها من المصنفات المعتمدة من غير اطلاق لفلاكة او مفلوك على احد والعهد في المنقول على المؤرخين والعذر في اتباعهم في نقله انه لم تنزل العلماء والمؤرخون يذكرون ذلك املاء وتصنيفاً شائماً دائماً من غير نكير فكان اجماعاً من الساف على جوازه وقد تقدم كلام القاضي في جواز الحكاية على جهة التعمير أو التنفير وتقدم أيضاً ما قلناه على سبيل البحث من ان في ذكره أمناً من التدليس والتجهيل - وأما الاعتذار عن ايراد الفلاكة والمفلوك على الدور فهو أنا نقول الفلاكة وان أشعرت بتقيص الا انا نذكرها في هذا الفصل معرفة عن معنى التقيص والكلمات كثيراً ما تكون حاملة لمعنيين فتعري من أحدهما مجازاً وهذا في الكشاف في مواضع منه ما ذكر في سورة الاعراف ان واو

الحال هي واو العطف استعيرت لمجرد الوصل وعلى الجملة فاستعمال الكل في الجزء مجاز شائع - أو تقول المراد بالفلاكة المذكورة في هذا الفصل وقوع ما الاولى خلافه والالفة اصطلاحية على قول والالفاظ التي يدور عليها معنى في تصنيف كالخبز والطي في العروض اصطلاحية اتفاقاً فقد سقط بهذا التقرير اعتراض من يدلع لسانه كالكلب مجادلاً بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير - اللهم عياداً بك ممن قصر في العلم والدين باعه وطال في الجهل وأذى عبادك ذراعه فقد اتخذ بطر الحق وغمص الناس سلباً الى ما يحبه ويرضاه ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر الا ما يشتهيه ويأباه ولياداً بك ممن جعل الملامة بضاعته والعذل نصيحته يجعل عداوته وأذاه حذاراً واشفاقاً وتنفيره وتحذيله اسعافاً وارفاقاً متى برز على الجهال بأصغريه ظن انه قد زاحم العلماء بركبته - اذا تقرر ذلك فاعلم ان الفلاكة على ضربين احدهما فلاكة مالية ونعني بها كون الشخص غير محظوظ في أمور الدنيا المالية على ما قررناه في الفصل الاول أو وقوع ما الاولى خلافه في الامور المالية على ما قررناه في هذا الفصل - والثاني فلاكة معنوية ونعني بها الاوصاف المخالفة لمحاسن الطبيعة أو لمحاسن الشريعة من الافعال المحرمة او الافعال المكروهة والاخلاق القبيحة المذمومة - واذا عرفت انقسام الفلاكة الى هذين القسمين مالية ومعنوية اتضح لك مناسبة التراجع الآتية في هذا الفصل لمقصود الفصل - وهذا حين الشروع . وانا ننقل فيها الفاظ المترجمين بحروفها من غير تصرف فيها لتكون العهدة عليهم في ذلك والله المستعان

القاضي عبد الوهاب

ابن علي بن نصر المالكي كان بقية الناس . ولسان اصحاب القياس . ونبت به بغداد على عادة البلاد بذوى فضلها وعلى حكم الايام في منخبها فعلمها فخرج وخلع اهلها وودع ماءها وظلها فلما فصل عنها شيعه من اكبرها واصحاب محابرها جملة موفورة وطائفة كثيرة فقال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم رغبين في كل غداة ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية وفي ذلك يقول

سلام على بغداد في كل موطن * وحق لها مني سلام مضاعف

فوالله ما فارقتها عن قلبي لها * واني بشطى جانبها اعرف
ولكنها ضاقت عليّ بأسرها * ولم تكن الارزاق فيها تساعف
وكانت كخيل كنت اهوى دنوّه * وأخلاقه تنأى به وتخالف

ثم توجه الى مصر فحمل لواءها وملاً ارضها وسماؤها وتناهدت اليه الغرائب وانثالت
عليه الرغائب فمات في أول ما وصلها من اكلة اشتهاها فأكلها زعموا انه قال وهو
يتقلب ونفسه تتصعد لا إله الا الله لما عشنا متنا توفي سنة ٢٢٢ هـ

(ابن مالك)

ابو عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الاندلسي الجياني الملقب جمال الدين
صاحب التصانيف المبسوطة والمختصرة والنظم والنثر شيخ النحاة في عصره والامام في
اللغة كان كثير الاشغال والاشتغال حتى انه حفظ في اليوم الذي مات فيه خمسة شواهد
قال شارح التنبيه الشيخ ابو جعفر رفيق الأعمى نزيل حلب في ترجمته اول الشرح
خرج من الدنيا ولم يتعلق بأعراضها ولا قرطس سهمه في اغراضها -- قلت لقد احسن
الشيخ ابو جعفر رحمه الله العبارة عن الفلاكة فان قوله خرج من الدنيا الي آخره هو
والفلاكة عبارتان عن معنى واحد توفي رحمه الله سنة ٦٧٢ هـ

(النضر بن شميل)

الشاعر التميمي المازني النحوي البصري عالم بفقون من العلم صاحب غريب
الحديث والشعر وهو من اصحاب الخليل خرج النضر يريد خراسان لما ضاقت عليه
البصرة بالمعيشة فشيعة من اهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الاممحدث أولغوى
أو عروضى او اخبارى فقال يا اهل البصرة يعز عليّ فراقكم ولو وجدت كيلجة باقلى
ما فارقتكم فلم يكن فيهم احد يتكلف ذلك ودخل على المأمون في ثوب مرقوع فقال له
يا نضر ما هذا التقشف فقال شيخ ضعيف وحر شديد فأ تبرد بهذه الخلقان قال لا
ولكنك قشفت ثم تجاذبا الاحاديث الى ان ادى بهما الحديث الى السداد بمعنى البلغة
وسد الثمة فأورده المأمون بفتح السين فرده النضر عليه وبين له ان المفتوح انما هو

القصد لا البلغة فأمر له عند انصرافه بجمسين الف درهم يقبضها من الفضل بن سهل
فصرفها له ثمانين الف درهم عند وقوفه على سبب الصرف وتوفي بمرور سنة ٣٠٤

(الاخفش الصغير)

هو علي بن سليمان النحوي كان اماً في اللغة والادب وهو غير الاخفش الكبير
لانه أبو الخطاب عبد الحميد والاخفش الاوسط لانه سعيد بن مسعدة أبو سعيد
كان الاخفش الصغير يلزم المقام عند أبي علي بن مقلة وأبو علي يراعيه ويبره فشكا
اليه في بعض الايام ما هو فيه من شدة الفاقة وزيادة الاضاعة وسأله أن يعلم الوزير
أبا الحسن علي بن عيسى ويسأله له اقرار رزق من جملة من يرتزق من أمثاله ففعل
فانتهره الوزير انتهاراً شديداً وكان ذلك في مجلس حافل فشق علي ابن مقلة ذلك ثم
وقف الاخفش على صورة الحال فاعتم لها واتهت به الحال الى أن أكل السلجم النيء
فقيل انه قبض على فواده فمات منه فجأة سنة ٣١٥

(التلعفري)

محمد بن يوسف بن مسعود الاديب البارع شهاب الدين أبو عبد الله التلعفري
الشاعر المشهور اشتهر ذكره وشاع شعره وكان خليعاً معاشراً وامتحن بالقمار وكلما أعطاه
الملك الاشرف شيئاً يقامر به فطرده الى حلب فمدح بها صاحبها العزيز فأحسن اليه
وقرر له رسوماً فسلك معه مسلك الملك الاشرف فنادي في حلب أن من قامر مع
الشهاب قطعنا يده فامتنع الناس من اللعب معه فضاقت عليه الارض وترك الخدمة
وجاء الى دمشق ولم يزل يستجدي بها ويقامر حتى بقي في اتون (١) من الفقر ثم نادى في
الاخر صاحب حماه وبها مات سنة خمس وسبعين وستائة

(الترمذي)

محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الشافعي لم يكن للشافعية في وقته رأس
منه ولا أروع وكان من التقال على حال عظيم أخبر انه تقوت في سبعة عشر يوماً

(١) الاتون بفتح الهزة وتشديد التاء المضمومة وقد تخفف اخذود الخيار والجصاص ونحوهما ام

بخمس حبات أو قال ثلاث حبات قيل له كيف عملت قال لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتاً فكنت آكل منه كل يوم واحدة توفي سنة خمس وتسعين ومائتين وقد اختلط في آخر عمره

(يحيى بن علي)

ابن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكريا الخطيب التبريزي الشيباني امام اللغة والنحو تخرج عليه خلق كثير شرح الحماسة والمنتبي والمعلقات وغير ذلك وكانت حصلت له نسخة من التهذيب في اللغة للازهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن عالم باللغة فدل على أبي العلاء المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن له ما يستاجر به مراكباً فنفذ العرق من ظهره اليها فأثر فيها البلل وهي بعض الوقوف بيغداد واذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب ومن شعره

فمن يسأم من الاسفار يوماً * فاني قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال * لثام ينتمون الى لثام
توفي فجأة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسة

(الايوردي)

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الايوردي اشتغل في الفقه على أبي حامد وبرع فيه قال الخطيب في تاريخه كان شاعراً فصيحاً حسن الاعتقاد متجعلاً في فاقة يقال انه مكث سنتين لا يقدر على جبة يلبسها في الشتاء ويقول لاصحابه بي علة تمنعني لبس المحشو. توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة - قلت ما احسن قوله بي علة تمنعني لبس المحشو فانه من الايهام والتورية والعلة هي علة الفلاكة شفانا الله منها

(الشنتريني)

عبد الله بن صارة أو سارة الشاعر المشهور كان شاعراً ناثراً ناظماً ماهراً الا انه كان

قليل الحظ ومن الحرمان لم يسهه مكان ولا اشتمل على سلطان كان يبيع المحقرات و بعد
 جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة فلما كان من خلع الملوك ما كان أتى الى اشبيلية
 أسود حالا من الليل وأكثر انفرادا من سهيل وتبلغ من الوراثة فانتحلها في كساد
 سوقها وخلو طريقها وفيها يقول

اما الوراثة فهي أنكر حرفة * أوراقتها وثمارها الحرمان
 شبهت صاحبها بحالة ابرة * تكسو العراة وجسمها عريان

توفي سنة ٥١٧

(العز)

حسين بن محمد الشاعر الضرير الاربلي تلميذ أفضل الدين الخانجي كان الشاعر
 المذكور بصيراً بالعربية رأساً في العقليات كلها الا انه كان فيلسوفاً رافضياً تاركاً للصلاة
 رث الهيئة زرى الشكل قبيح المنظر يصدر منه ما يشعر بفساد العقيدة والانحلال وابتلي
 مع العمى بطلوعات وقروح وكان قد ذرأ لا يتوقى النجاسات يهين الاكابر اذا حضر
 مجلسهم ولا يعتنى بهم ومع ذلك كان له هيبه وحرمة . توفي سنة ٦٦٠

(يحيى او محمد او عمر)

ابن حبش الملقب شهاب الدين السهروردي أبو الفتوح المعروف بالشهاب المقتول كان
 أواحد زمانه في الفلسفة والحكمة مفرد الذكاء حسن العبارة وله تصانيف منها الهياكل
 والتلويحات والرقم القدسي في تفسير القرآن على رأي الاوائل والمحات في المنطق ورد
 الى حلب واجتمع بالملك الظاهر غازي فأعجبه كلامه فمال اليه فكتب أهل حلب
 الى السلطان صلاح الدين ادرك ولدك والاتلف فكتب السلطان الى الظاهر بأبعاده
 عنه ثم كتب اليه بقتله كان دنيء. الهمة زرى الخلقه دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل
 له ثوباً ولا جسماً ولا يداً من زهومة ولا يقص ظفراً ولا شعراً وكان القمل يتناثر على
 وجهه ويسعى على ثيابه. توفي سنة ست وثمانين وخمسةائة



(الحافظ عبد الغنى)

ابن عبد الواحد أبو محمد المقدسى أنزله الشيخ عبد القادر هو ورفيقه الشيخ موفق الدين بمدرسته وما كان يمكن احدا من النزول فيها لما تفرس فيها من الخير والصلاح كان امام وقته في الحديث زوايه ودراية وصنف الكتب الحسان منها نهاية المراد في كلام خير العباد نحواً من مئتي جزء — ومحنة كثيرة. منها انه لما دخل أصفهان وقف على كتاب أبي نعيم الحافظ في معرفة الصحابة فأخذ عليه في مائة وتسعين موضعاً فطلبوه من الحجندی ليقتلوه فاخفى وخرج من أصفهان في ازار — ومنها انه لما عاد الى أصفهان دخل الموصل فقرأ كتاب الجرح والتعديل للعقيلي وذكر فيه أبا حنيفة وجرحه فثار عليه أصحاب أبي حنيفة وحبسوه ولولا البرهان بن البرقي الواعظ خلصه لقتلوه — ومنها لما قدم دمشق من الموصل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجمع الناس اليه وحصل له قبول فكان سريع الدمعة فحسده الدماشقة ودخلوا عليه بطريق الناصح الحنبلي فحسوا له ان يعظ بعد الصلاة تحت النسر فشوش على الحافظ فصار الحافظ يقعد بعد العصر فذكر عقيدته على الكرسي فاتفق محيي الدين بن زكي الدين والخطيب الدولعي وجماعة من الدماشقة وصعدوا الى القلعة وواليها صارم الدين برغش فقالوا هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه فعدوا له مجلساً وأحضره وناظرهم فأخذوا عليه مواضع وارتفعت الاصوات فقال صارم الدين كل هؤلاء علي ضلالة وأنت على الحق قال نعم فأمر الاسارى فنزلوا الى جامع دمشق فكسروا منبر الحافظ وما كان في حلقة الحنابلة من الدراريينات ومنعوم من الصلاة فقاتتهم صلاة الظهر ثم سافر الحافظ الى مصر ونزل عند الطحانين وصار يقرأ الحديث وكان الملك العزيز في الصيد فأفتى فقهاء مصر باباحة دمه وبعثوا بالقتوى الي العزيز فقال اذا رجعنا أخرجناه فاتفق انه وقع عن فرسه واشتغل بنفسه ومات وجاء الافضل الى مصر ولما دخل العادل مصر ومعه وزيره ابن شكر نقل اليه ما نقل الي العزيز فعرف بزيهده وفضله فأكرمه عند الدخول اليه وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث فكتب أهل مصر الي ابن شكر يقولون قد أفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم على رؤوس

الاشهاد فكتب الى والى مصر بنفيه الي المغرب فحدث الشيخ تاج الدين الكندي ان الوزير طلبه ايكتب بنفيه وكان الحافظ قد توفي فقال للكاتب اكتب بنفيه الي المغرب ولم يكن علم بموته فقلت ما تحتاجون تفنونه هو قد نفاكم فقال ابن شكر وكيف قلت الساعة أخبرني شخص بموته فوجم ابن شكر ساعة كمازه ندم . وكانت وفاته في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ست مائة

(محمد بن عبد الرزاق)

ابن رزق بن أبي بكر العدل العالم شمس الدين بن محمد المحدث الرسعني الحنبلي كان من أعيان الشهود تحت الساعات ومن شعره
ولو ان انساباً يبلغ لوعتي * ووجدى وأشجاني الى ذلك الرشا
لاسكنته عيني ولم أرضها له * ولولا لهيب القاب أسكنته الحشا
سافر الى مصر في شهادة ثم عاد على حمار فسرق حماره وما عاياه في الطريق فرجع الى القاهرة شاكياً فلم يحصل له مقصود فخرج متوجهاً الي دمشق فأتى ليستقي فرسه بالشرية ففرق ولم يظهر له خبر . توفي سنة ٦٨٩

(الخليل)

ابن أحمد بن عمرو الفراهيدي الازدي كان اماماً في علم النحو وهو الذي استنبط العروض وعنه أخذ سيويه وغيره كان متقللاً من الدنيا صبوراً على العيش الخشن الضيق وكان يقول لا يجاوز همي ما وراء بابي كان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الازدي وكان والى فارس والاهواز فكتب اليه يستدعيه فكتب الخليل جوابه

ابلع سليمان اني عنه في سعة * وفي غني غير اني لست ذا مال
سخا بنفسي اني لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتمل
والفقير في النفس لا في المال نعرفه * ومثل ذلك الغني في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فأنشد بيتين في ذلك فأعاد راتبه قال تلميذه النضر بن شميل
أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون
بعلمه الاموال كان اذا قدم عليه سيويه يقول مرحباً بزائر لا يمل . توفي سنة ١٧٠
(أبو الطيب الطبرى)

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب الطبرى شيخ الشافعية أخذ عن أبى
حامد الاسفراينى وأبى الحسن الماسرجسى وصنف فى الاصول والجدل وغير ذلك
كان له ولاخيه عمامة وقميص اذا لبسهما هذا جلس الآخر فى البيت وقد قال فى
ذلك القاضى أبو الطيب

قوم اذا غسلوا ثياب جماهم * لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل
بلغ مائة وستين سنة صحيح العقل والفهم والاعضاء يفتى ويقضى ويشغل . توفي سنة ٤٥٠
« أبو عثمان »

ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ أخذ عنه مالك بن أنس رضى الله عنه قال بكر
ابن عبد الله الصنعانى أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الراى فكنا نستزيده
فى حديث ربيعة فقال لنا ذات يوم ما تصنعون بربيعة ها هو نائم فى ذلك الطاق فأتينا
ربيعة فأنبهناه وقلنا له أنت ربيعة قال نعم قلنا أنت الذى يحدث عنك مالك بن أنس
قال نعم قلنا كيف حظى مالك بك وأنت لم تحظ بنفسك قال أما علمتم ان مثقالا من
دولة خير من حمل علم . توفي سنة ١٣٦

« المازنى »

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازنى البصرى كان امام عصره فى النحو
والادب وكان فى غاية الورع ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصده ليقرا عليه
كتاب سيويه وبذل له مائة دينار فى تدريسه فامتنع ابو عثمان من ذلك فقال له المبرد
أترد هذه المنفعة مع فافتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة
وكذا كذا آية من كتاب الله ولست أرى ان أمكن ذمياً منها غيرة على كتاب الله

تعالى فاتفق ان غنت جارية بحضور الواثق بقول العرجي

* أظلم ان مصابكم رجلا *

واختلف من بالحضرة في رفع رجل ونصبه فأشخصه الواثق لاعراب البيت فلما أعر به أمر له بألف دينار. توفي سنة ٦٤٩ وموضع الاستشهاد قول المبرد أترد هذه المنفعة مع فافتك وشدة اضاقتك ولا يقال كان زاهداً بديل قول المترجمين له انه كان شديد الورع لان الورع لا يستلزم الزهد بديل قبوله الالف الموهوب له لان الفاقة الدائمة يلزمها حوائج مجتمعة ومصارف ، وؤخرة لا تنفي بها الالف ولا ما فوقها والدنانير انما هي دنانير بغداد وهي دراهم في الحقيقة

« السيرافي »

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي شرح كتاب سيديويه وصنف عدة تصانيف كان نزهاً عفيفاً حسن الاخلاق وكان معتزلياً ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل الا من كسب يده ينسخ ويأكل. توفي سنة ٣٦٨

« نجم الدين »

ابن أخي قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان كان فقيهاً فاضلاً وولى القضاء بعض البلاد الشامية وكان مهوساً بالحكمة ويقول عن نفسه أنا حكيم الزمان فاقطع رزقه بهذا السبب ومقت ونسبوه الى انحلال العقيدة فسافر الى الديار المصرية وقعد مع الشهود حتى مات سنة ٧٦٢

« الانمطي »

اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الحافظ البارع تقي الدين أبو الظاهر ابن الانمطي المصري الشافعي كان اماماً ثقة حافظاً مبرزاً فصيحاً واسع الرواية ناظماً ناثراً بعيد الشبيه معدوم النظير الا انه كان كثير الدعابة مع المرء . مات سنة ٦١٩

« بدر الدين بن مالك »

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك كان نحويّاً عارفاً بعلم البيان

والعروض والاصول والمنطق ذكياً الا انه ينسب الى لعب ومعاشرة من لا تليق
معاشرته . توفي سنة ٦٨٦

« العفيف التلمساني »

سليمان بن علي بن عبد الله الاديب البارع كان حسن العشرة كريم الاخلاق
ذا وجهة وخدم في عدة جهات من المكس كان يتهم بالخر والفسق والقيادة كما قاله في
الجزء السابع من دول الاسلام مختصر تاريخ الاسلام لعلي بن خلف بن كامل الغزي
الشافعي قال الشيخ قطب الدين رأيت جماعة ينسبونه الى رقة الدين والميل الى مذهب
النصيرية وحكى تلميذه البرهان بن الفاشوشة قال رأيت ابنه في مكان بين ركدارية
وذا يكبس رجله وذا يبوسه فتألمت لذلك واتقبضت ودخلت الى الشيخ وأنا كذلك
فقال مالك فأخبرته بالحال الذي وجدت عليه ابنه محمدا فقال أفرايته في تلك الحالة
منقبضاً حزينا فقلت سبحان الله كيف يكون ذلك بل كان أسر ما يكون فهون الشيخ
علي وقال لا تحزن انت اذا كان هو مسروراً فعرفت قدر الشيخ وسعيه قال الذهبي
هذا هو الشيخ الذي لا يستحي الله من عذابه . توفي سنة ٦٩٠

« الحريري »

علي بن أبي الحسن بن منصور أبو الحسن وأبو محمد مقدم الطائفة الحريرية
صاحب الزاوية كان له مكاشفات وكرامات وكان عنده من القيام بواجب الشريعة
كما قاله الشيخ شهاب الدين ابو شامة ما لم يقيم به أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً ومن
اقامة شرائع الحقيقة ما لم يكن عند احد في عصره من المحافظة على محبة الله وذكره
والدعاء اليه والمعرفة به واكثر الناس يغلطون في امره الظاهر وفي امره الباطن صحب
الشيخ أبا علي المغربي خادم الشيخ رسلان كان يلبس الطويل والقصير والمدور
والمفرخ ولا يبيض والاسود والعمامة والمئزر والقاندوسة وثوب المرأة والمطرز والملون ولما
حبس سأله أصحابه ان يسأل ويتشفع فلم يفعل فلما اقام في الحبس اربع سنين زاد
سؤالهم فأمرهم ان يكتبوا قصة فيها من الخلق الضعيف الى الراي الشريف ممن هو

ذنب كله الي من هو عفو كله سبب هذه المكاتبه الضعف عن المعاتبه « اصغر خدم
الفقراء على الحريرى »

فقير ولكن من صلاح ومن تقى * وشيخ ولكن في الفسوق امام
فسعوا في القصة وارادوا ان تصل الي السلطان فما قرأ احد من الدولة القصة
الا ورمي بها فبلغه ذلك فاحتد وقال ما قلت لكم ألم أنهم عن السعى واقام بالحبس
ست سنين وسبعة اشهر كان يعاشر الاحداث و يصحبهم و يقيمون عنده ولم يكن عنده
مراقبة ولا مبالاة بل يدخل مع الصبيان الاحداث و يعتمد معهم ما يسمونه تخريباً
وكان له قبول عظيم لا سيما عند الاحداث فانه كان اذا وقع نظره على احد من
الاحداث مال اليه بحيث لا ينتفع اهله به . توفي سنة ٦٤٥

« القطب الشيرازي »

قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي كان امام عصره في المعقولات
وفي غاية الذكاء وله التلاميذ الكثيرة والتصانيف المشهورة منها شرح المختصر لابن
الحاجب كان كريماً متطوحاً الا انه كان متهاوناً بالدين عباً للخمر ويحلس في حلق
المساخر كما قاله الاسنوى في طبقاته ومع ذلك كان معظماً عند ملوك التتار فمن دونهم وهو
تلميذ النصير الطوسى . توفي سنة ٧١٠

« ابن دريد »

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الازدى اللغوى البصري امام عصره في
اللغة والادب والشعر الفائق كان يشرب الخمر الى ان جاوز تسعين سنة قال ابن
شاهين كنا ندخل على ابن دريد فنستحي مما نرى من العيبدان المعلقة والشراب
مصفى موضوعاً . توفي سنة ٣٢١

« يحيى بن اكرم »

ابن محمد التميمي المروزي احد اعلام الدنيا روى عنه الامام احمد بن حنبل وغيره
« ١٠ — الفلاكه »

وغلِب على المأمون حتى لم يتقدمه احد عنده من الناس جميعاً وكانت كتب يحيى في الفقه اجل كتب وتركها الناس لطولها وكان له كتب في الاصول ايضاً وكان من ادهى الناس وأخبرهم بالامور كان اذا رأى فقيهاً سأله عن الحديث او مجدثاً سأله عن النحو او نحوياً سأله عن الكلام فيخجله ويقطعه كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن اكرم وكان غلاماً متناهى الجمال ققرص القاضي خده فحجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده فقال له خذ القلم واكتب فأولاه

ايا قرأ خمشته فتغضبا * واصبح لي من تيهه متجنباً
اذا كنت للتخيميش والهض كارهاً * فكن ابدأ يا سيدي متقبلاً
ولا تظهر الاصداع للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقرباً
فتقتل مسكيناً وتفتن ناسكاً * وتترك قاضي المسلمين معذباً

ولما تواتر النقل عن يحيى الى المأمون في هذا المعنى اراد امتحانه فأغرى به مملوكاً في غاية الجمال وذعب الى الحلاء ثم تجسس عليه فسمعه يقول له لولا انتم لكننا مؤمنين فدخل المأمون وهو ينشد بيتي ابن حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهراً * فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * وقاضي قضاة المسلمين يلوطن

ذكر ذلك كله ابن خلكان في تاريخه وذكره الحصري في كتابه الذي سماه زهر الآداب وتحامل عليه في هذا المعنى بما لا يليق ذكره وذكره ولوع الشعراء به ومما نشده فيه قول الشاعر

يا ليت يحيى لم تلده اكنمه * ولا وطت ارض العراق قدمه
ألوط قاضي في الانام نعلمه * أي دواة لم يلقها قدمه

واي جحر لم يلجه ارقه

توفي سنة ٢٤٢

« محمد »

ابن علي بن يوسف بن هود الشيخ الزاهد الكبير بدر الدين ابو علي بن هود

المرسی احد الاجلاء فى التصوف ترك الحشمة وتغرب وصحب ابن سبعين واشتغل بالفلسفة والطب وترهات الاتحادية وزهديات التصوف وخط هذا بهذا كان ذاهبة وسكون وتلامذة على رأسه قبة وعلى جسده داق وكان غارقاً فى الفكرة قليل الصلاة والذكر متواصل الاحزان حمل مرة الى والى البلد وهو سكران أخذوه من حارة اليهود وكان له مشاركات فى علوم شتى . توفى سنة ٦٩٩ بدمشق

« القاضي الرفيع »

عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل قاضى قضاة دمشق رفيع الدين ابو حامد الشافعى كان فقيهاً فاضلاً متكلماً مناظراً متفلسفاً ردىء العقيدة مغتراً ثم ولى قضاء دمشق فى أيام صاحبها الملك الصالح اسماعيل ووزيره أمين الدولة السامرى فاتفق هو وامين الدولة فى الباطن على المسلمين فكانت عنده شهود زور ومدعون زوراً تدعى وتشهد على شخص بألف دينار فى أمره بالصلح قال ابو المظفر ابن الجوزى حدثني جماعة من الاعيان انه كان فاسد العقيدة دهنياً مستهزئاً بامور الشريعة يجيء الى صلاة الجمعة سكران وان داره كانت مثل الحانة ثم أوقعت الدنيا بينه وبين الوزير فعذره السامرى وسعى به عند السلطان فاعتقل ببعبك واستأصل ماله ثم نقل الى جبل لبنان وخنق هناك أو دفع من شاهق فوق فمات سنة ٦٤٣

« البدر التستري »

بدر الدين محمد بن أسعد التستري امام وقته فى الاصلين والمنطق والحكمة وضع تعليقات على البيضاوى والطواع والمطالع متضمنة لنكت غريبة وان كانت عباراتها قلقة ركيكة وشرح كتب ابن سينا كان مداوياً على لب الشطرنج رافضياً كثير التردد للصلاة قال الاسنوى ولهذا لم يكن عليه انوار اهل العلم ولا حسن هيئتهم مع ثروته الزائدة وحسن شكله . توفى بهمدان فى نيف وثلاثين وسبعمائة

« أبو عبيدة »

اللغوى النحوى معمر بن المثنى لم يكن فى الارض خارجى ولا اجماعى اعلم بجميع

العلوم منه وكان الغريب يغلب عليه وأخبار العرب وإيامها وكان يكسر الشعر ولا يقيم وزنه وإذا قرأ أو حدث لحن اعتماداً منه وكان وسخاً الثغ مدخول النسب هجاء يميل إلى مذهب الخوارج لا تقبل له شهادة عند أحد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان قال الأصمعي دخلت أنا وأبو عبيدة يوماً المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس إليها أبو عبيدة

صلى الاله على لوط وشيعته * ابا عبيدة قل بالله امينا

فقال لي يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته فقال أثقلتني وقطعت ظهري فقلت لقد بقيت الطاء فقال هي شر حروف البيت وكان الكاتب لها ابا نواس وبعد البيت

فأنت عندي بلا شك بقيتهم * منذ احتمت وقد جاوزت تسعيناً

توفي سنة ٢٠٩

« ابن هانيء »

ابو الحسن محمد بن هانيء الازدي الاندلسي الشاعر المشهور كان متهماً بمذهب الفلاسفة مشتهراً بمحب الخمر أضافه شخص بركة فأقام عنده في المجلس الانس أيام فيقال انهم عر بدوا عليه فقتلوه سنة ٣٦٢

« صاعد »

الربيعي اللغوي البغدادي أبو العلاء صاحب كتاب الفصوص كان محسناً في السؤال حاذقاً في استخراج الاموال غير انه كان يتهم بالكذب في نقله فلماذا رفض الناس كتابه ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته رمى كتاب الفصوص في النهر فقال فيه بعض شعراء عصره

قد غاص في البحر كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقل يغوص

فلما سمعه صاعد انشد

عاد الى عنصره انما * تخرج من قعر البحور الفصوص

توفي سنة ٤١٧ بصقلية

«ابن النحاس»

بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد الامام العلامة كان من أذكيا، بنى آدم وله خبرة بالمنطق واقليدس مشهور بالدين والصدق مع اطراء التكلف والتجمل وصغر العمامة فيه ظرف النحاة وانبساطهم وكان يتحدث في تعليمه وخطابه بلغة عامة الحليين ولا يتعرق في عبارته وأظنه لم يتزوج . توفي سنة ٦١٨

« أبو الحسن »

على بن صاعد الصدفى المنجم المعروف بابن يونس المصري المشهور صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس فى اربع مجلدات كبار كان ابن يونس المذكور أبه مغفلا يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة وكان طويلا واذا ركب ضحك الناس منه لشهرته وسوء حاله ورثاثة لباسه وكان له مع هذه الهيئة اصابة بليغة غريبة فى النجامة لا يشاركه فيها غيره وكان احد الشهود ومتفناً فى علوم كثيرة دخل مرة على الحاكم العبيدى صاحب مصر ومداسه فى يده فقبل الارض وجلس والمداس الى جانبه والحاكم يراها وهو بالقرب منه ولما انصرف قبل الارض وابسها وانصرف . توفي

سنة ٣٩٩

« التاج المراكشي »

تاج الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف المراكشى حصل علواً عديدة اكثرها بالسباع لانه كان ضعيف البصر مقاربا للعمى كان ذكياً عجولاً محتقراً للناس كثير الوقعة فيهم ولهذا عمل عليه قاضى القضاة جلال الدين القزويني حتى أخرجه من مصر الى دمشق مرسماً عليه. توفي فجأة سنة ٧٥٢

« العلم الاصفوني »

علم الدين احمد بن محمد بن عبد العليم المعروف بالاصفوني كان رجلا

فاضلامشاركاً في علوم متعددة مشاركة جيدة لكنه كان شرس الاخلاق مائلاً الى الحسد لا تدوم له صحبة مع احد لا سيما من يري اقبال الناس عليه من اهل العلم. توفي سنة ٧٤٩ « الفخر الفارسي »

الفيرزابادي نزيل مصر الشافعي الصوفي المحقق المحدث له مصنفات كثيرة منها كتاب مطية النقل وعطية العقل والاصول والكلام وغير ذلك كان فاضلاً بارعاً فصيحاً بليغاً متكلماً ذا معاملات ورياضات ومقامات الا انه كان بذي اللسان كثير الوقعة في الناس لمن عرف ومن لم يعرف كثير الجراءة لا يفكر فيما يقول وعنده دعابة في غالب الوقت كذا قاله عمر بن الحاجب وابن بعة فيما نقله عنهما عماد الدين ابن كثير في طبقاته . توفي سنة ٦٢٢

« الشيخ خضر الكردي »

شيخ الملك الظاهر كاشف السلطان في أشياء كثيرة أصاب فيها وكان حظياً عنده وله المكانة الرفيعة لديه ينزل السلطان اليه في كل اسبوع مرة او مرتين وبني له جامعاً شهد عليه عند السلطان بالزنا واللواط وشرب الخمر وكان السلطان قد قدمت له هدية من صاحب اليمن من جملتها كرفيس فأعطاه السلطان للشيخ خضر فدفعه لامرأة وزنى بها وأحضرها وأحضروا الكر بين يدي السلطان . توفي سنة ٦٧١

« ابن الخشاب »

أبو محمد عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم المشهور في الادب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب له في العلوم اليد الطولى كان فيه (١) بذاعة وقلة اكرتات بالما كل والملبس زاد الحافظ الذهبي ناقلاً له عن ابن النجار وجمال الدين القفطي انه كان بخيلاً وسخاً قدراً تبق عمامة على رأسه حتى تقطع مما يلي رأسه من الوسخ ويرمي عليها العصافير ذرقها فيتركة على حاله ولم يتزوج

(١) البذاءة سوء الحال وبذاهيئة وبذاهرتها اه من القاموس

قط ولا تسرى وكان يستقى بجرة مكسورة ويلعب بالشطرنج حيثما وجده ويقف على المشعبذ واصحاب التروذ ويستعير الكتاب فلا يعيده متعللاً بضياعه بين كتبه وكان مزاحاً — وساق ابن النجار عنه من ذلك حكايات فمنها انه قرا عليه بعض المعلمين قول العجاج

اطرباً وأنت قنسى * وانما يأتي الصبا الصبي

فجعله الصبي بالياء فيهما فقال له هذا عندك في المكتب فاستحي — ومنها انه سأله بعض تلامذته فقال القفا يمد أو يقصر فقال يمد ثم يقصر — ومنها انه سأل بعض تلامذته ما بك فقال فؤادي يوجعني فقال لو لم تهمة ما وجعك . توفي سنة ٥٦٧

« ابن برى »

ابو محمد عبد الله ابن أبي الوحش بن برى المقدسى الامام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره وله على كتاب الصحاح للجوهري حواش فائقة استدرك فيها عليه مواضع كان عارفاً بكتاب سيبويه وكانت فيه غفلة ولا يتكاف في كلامه ولا يتقيد بالاعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق قال يوماً لبعض تلاميذه اشترى لى هندبا بعرووق فقال له التلميذ هندبا بعرووقه فعز عليه كلامه وقال لا تأخذه الا بعرووق وان لم يكن بعرووق فلا آكله ومن غفلته انه كان يدخل الحطب والبيض جميعاً فى كفه وعليه الثياب الفاخرة وربما جاء الى البيت فلم يجده مفتوحاً فيرمى بالبيض من الطاق الى داخل ويضع العنب بين الحطب فيتفجر وينقط على رجله فيقول . طر والسما صاحبة . وقرىب من حكاية رمى البيض ما نقل عن أبي على الشلوبين انه وقع من يده كراس فى الماء وبقى معه آخر فجره به من الماء فتلفا جميعاً . توفي سنة ٥٨٢

« الباجي »

علاء الدين على بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالباجي الامام فى الاصلين والمنطق الفاضل فيما عداها من أذكاء الناس قريحته لا تكاد تنقطع الا انه كان قليل

المطالعة جداً ولا يكاد احد يراه ناظراً في كتاب وكذلك نقل عن محمد بن زياد أبي عبد الله بن الاعرابي صاحب اللغة انه كان يحضر مجلسه زهاء مائة نفس كل يسأله أو يقرأ عليه وهو يجيب من غير كتاب قال ابو العباس لزمته بضع عشرة سنة ما رأيت يده كتاباً قط توفي ابن الاعرابي سنة ٢٢١ وكان الباجي المذكور يجلس في حوانيت الشهود وناب في الحكم بالشارع ثم ترك ذلك كله وأعرض عن التكلف في حاله كله توفي سنة ٧١٤

«الحافظ المزي»

بكسر الميم ابو الحجاج جمال الدين يوسف الحلبي المعروف بالمزي انتهت اليه الرحلة من اقطار الارض كان اماماً في اللغة والتصريف صنف تهذيب الكمال في أسماء الرجال وكتاب الاطراف ودرس بدار الحديث كان منقبضاً عن الناس طارحاً للتكلف فقيراً. توفي سنة ٧٤٢

« أبو جعفر »

احمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس المصري النحوي كان من الفضلاء وله التصانيف المفيدة منها اعراب القرآن والناسخ والمنسوخ وتفسير ايات سيويه بمالم يسبق الي مثله وفسر عشرة دواوين واملأها وله كتاب طبقات الشعراء وله شرح الحماسة وله غير ذلك وكان فيه خساسة وتقتير على نفسه واذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمامم بخلا وشحاً. وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على اهل معرفته ومع هذا كان للناس رغبة كثيرة في الاخذ عنه. توفي بمصر سنة ٣٣٨ وكان سبب موته انه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل واخذ يقطع العروض من الشعر فقال بعض العوام هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الاسعار فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر والنحاس نسبة الى الصفر

« مروان ابن ابي حفصه »

الشاعر المشهور المشكور كان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة

وكان يحصل له من الاموال شئ كثير جداً وكان مع ذلك من أنجل الناس لا يكاد يأكل من اللحم من بخله ولا يشعل في بيته سراجاً ولا يلبس من الثياب الا الكرايس والفرو الغليظ خرج يوماً الى المهدي فقالت امرأة من اهله ان أطلق لك الخليفة شيئاً فاجعل لي منه شيئاً فقال ان اعطاني مائة الف درهم فلك درهم فأعطاه ستمين الف درهم فأعطاها اربعة دوايق . توفي سنة ١٨٢

محمد بن داود

ابن علي ابو بكر الفقيه ابن الفقيه الطاهري بن الطاهري كان عالماً بارعاً اديباً شاعراً فقيهاً ماهراً قال ابن كثير قال ابن الجوزي في المنتظم وقد ابتلى بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف ويعشقه ولم يزل ذلك دأبه فيه مع العفاف حتي كان سبب وفاته وقيل عنه انه كان يبيح العشق بشرط العفاف وحكى هو عن نفسه انه لم يزل يتعشق مذ كان في الكتاب وانه صنف كتاب الزهرة في ذلك وكان يتناظر هو وأبو العباس بن شريح فقال له ابن شريح يوماً أنت بكتاب الزهرة أمر منك بهذا فقال له أتعيرني بكتاب الزهرة وانت لا تحسن تسم قراءته وهو كتاب جمعناه هزلاً فاجمع أنت مثله جداً . توفي سنة ٢٩٧

الحسن بن سفیان

ابن عامر ابو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان والذي كانت تضرب آباط الابل اليه في معرفة الحديث والفقه . رحل الى الآفاق وتفقّه على أبي ثور وأخذ الادب من اصحاب النضر بن شميل اتفق له انه كان هو وجماعة من اصحابه بمصر في رحلتهم لطلب الحديث فضاقت عليهم الحال حتي مكثوا ثلاثة ايام لا يأكلون فيها شيئاً ولا يجدون ما يبيعونه للقوت واضطروهم الحال الى تجشم السؤال وأنفت نفوسهم من ذلك والحاجة تضطروهم فاقترعوا فيما بينهم ايهم يقوم بهذا الامر فوقع القرعة على الحسن بن سفیان فقام عنهم واختلى في زاوية المسجد وصلى ودعا فما انصرف من الصلاة حتي دخل شاب حسن الهيئة فقال الامير بن طولون يمتذر اليكم وهذه مائة

دينار لكل واحد منكم فقتلنا وما الحامل فقال انه أحب ان يمتلى فجاهه فارس بيده رمح في الهواء وقال قم فأدرك الحسن واصحابه فانهم في المسجد الفلاني جياغاً . توفي

سنة ٣٠٣

بشر بن غياث

ابو عبد الرحمن المرسى المتكلم شيخ المعتزلة واليه تنسب الطائفة المرسية راج عند المأمون وحظي عنده . كان لا يحسن النحو وكان ياجن لحناً فاحشاً كما قاله ابن كثير . توفي في ذي الحجة سنة ٢١٨ وصلى عليه عبيد الشوبيري المحدث فليم في ذلك فقال ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي قلت اللهم ان عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر اللهم فأذقه عذاب القبر وكان ينكر شفاعة نبيك فلا تجعله من اهله وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة فاحجب وجهك الكريم عنه وهذا معنى . اقاله بعض السلف من كذب بكرامة لم ينلها قاله ابن كثير

واصل بن عطاء المعتزلى

ابو حذيفة المعروف بالفزال لملازمته الغزالين احد الائمة البالغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ولكونه قبيح اللثغة في الراء كان يخلص كلامه منها ولا يفظن لذلك احد لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه والى ذلك اشار الشاعر بقوله

وجعات وصلى الراء لم تنطق به * وقطعتنى حتى كأنك واصل

كان طويل العنق فنظر اليه عمر بن عبيد فقال من قبل ان يكلمه لا يصلح هذا

ما دامت عليه هذه العنق . توفي سنة ١٣١

ابو حاتم الرازى

محمد بن ادريس بن المنذر ابو حاتم الحنظلى الرازى احد الحفاظ الاثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل وهو قرين ابي زرعة الرازى تغمدهما الله برحمته سمع الكثير وطاف الاقطار والامصار وروى عن خلق من الكبار وحدث عنه الربيع بن سليمان ويونس بن عبد الاعلى وهما اكبر منه . قال لابنه عبد الرحمن يا بني مشيت

على قدمي في طلب الحديث اكثر من الف فرسخ وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق منه في بعض الاحيان وانه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض اصحابه نصف دينار. توفي سنة ٢٧٧

« سيويه »

ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصرى الحجة في النحو والعلم فيه امام النحاة شرح النحاة كتابه فانعمروا في لبحج مجرد واستخرجوا من جواهره حاصله ولم يلبثوا الى قعره وزعم ثعلب انه لم ينفرد بتصنيفه وقد ساعده جماعة في تصنيفه كانوا نحواً من اربعين نفساً هو احدهم وهو اصول الخليل بن احمد ونكته فادعاه سيويه لنفسه هكذا نقله ابن كثير عن ثعلب ونقله في مرآة الزمان عن ابي عبد الله المرزباني وتعبه وقال هذا وهم من المرزباني لاجماعهم علي ان سيويه هو الذي جمع اوزان العرب وخصرها وقرر اصول الكتاب وفصوله ورتب ابوابه وقال ابن كثير بعد نقله ذلك عن ثعلب وقد استبعده السيرافي في طبقات النحاة ولما قدم سيويه بغداد وناظر الكسائي واصحابه فلم يظهر عليهم سأل عن يربغ من الملوك في النحو فقيل طلحة بن طاهر فشخص الى خراسان فلما انتهى الى ساوه مرض مرض الموت فتمثل

يؤمل دنيا لتبقى له * فمات المؤمل قبل الامل

حينئذ يروى اصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

توفي وعمره ثنتان وثلاثون سنة سنة ١٨٠ والفسيل والفسيلة الودى وهو صغار النخل والجمع الفسلان قاله الجوهري

« شريك »

ابن عبد الله بن ابي شريك ابو عبد الله القاضي النخعي الكافي سمع ابا اسحاق السبيعي وغير واحد اكرهه المنصور علي القضاء كان مشكوراً في حكمه وامضائه ايام علي الاكابر . ذكر الخطيب بسنده ان عمر بن الهيثاج قال كنت صاحب شريك

فأثبته يوماً فخرج اليّ في فرو ليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له لقد اصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت أمس ثيابي فلم تجفّ وانا منتظر جفافها اجلس قال فجلست فجلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مولاه وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانياً وكتبت الى موسى بن عيسى لا يعصي له امرأً فظلم رجلا فتعلق ذلك الرجل بشريك فاقص له منه بيده ثم عاد يذاكر عمر في العبد تزوج كأن لم يفعل شيئاً وقد ساق الحكاية بطولها في مرآة الزمان ناقلا لها عن الخطيب . قال في مرآة الزمان وقد روى عن ابن عون ان شريكا كان يشرب النبيذ المثلث على رأى اهل العراق وبذلك عابوه . توفي سنة ١٧٧

ابن يونس

موسى بن محمد بن منعة المعروف بابن يونس الموصلى الشافعي احد المتبحرين في العلوم المتنوعة قيل انه كان يتقن اربعة عشر علماً . كان يقرأ عليه الحنفيون كتبهم وكان يقرأ عليه اهل الكتاب التوراة والانجيل فيقرون انهم لم يسمعوا بمثل تفسيره لها وكان الشيخ تقي الدين بن الصلاح يبالغ في الثناء عليه فقيل له يوماً من شيوخه فقال هذا الرجل خلقه الله عالماً لا يقال على من اشتغل فانه اكبر من هذا قال ابن خلكان وكان يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبية عليه . توفي سنة ٦٣٩

وانشد العماد المعري في ابن يونس

اجدك ان قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لي واصبح مؤنسي

وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقعة شعري او كدين ابن يونس

قال الموفق عبد اللطيف وكان مستغرق الوقت والعقل في حب الكيمياء حتى صار

يستخف بكل ما عداها

أبو بكر النيسابوري

عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي العلامة المعروف بابي بكر بن زياد قال يوسف القواس سمعت ابا بكر النيسابوري يقول أتعرف من اقام

اربعين سنة لم ينم الليل ويتقوت كل يوم بخمس حبات ثم قال انا هو . توفي سنة ٣٢٢

محمد شمس الدين

ابو عبد الله بن الامام العلامة عفيف الدين التلمساني الشاعر بن الشاعر تعانى
الكتابة وولي عمالة الخزانة كان فيه عشرة ولعب وخلاعة كما قاله الغزى فى مختصر تاريخ
الاسلام - قال فى الذيل وكان شمس الدين محمد المذكور قد اضافه اولاد المشطوب وطلبوا
منه ان يبىء عندهم فقال لهم أعلموا والدي بمبىءى عندكم حتى لا يتشوش خاطره هو
والوالده فبعثوا الى والده الشيخ عفيف الدين ولداهم العماد اسماعيل وهو يومئذ من احسن
الفتيان صورة لاعلام الشيخ عفيف الدين بمبىءى ولده عندهم فتكلم عفيف الدين بديها
هذين البيتين وبعث بهما صحبة العماد اسماعيل

بعثتموا لي رسولا في رسالته حلوا المرآشف والاعطاف والهيف

وقدتما ويسير ذاك انكما أوقدتما النار في بادي الضنى دنف

فرد عليه ولده شمس الدين بديها وكتب على ظهر الرقعة

مولاي كيف اثنى عنك الرسول ولم تكن لوردة خديه بتقطف

جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة فكيف ردت بلاثقب الى الصدف

لما قدم السجاعي دمشق خاف منه شمس الدين لسكونه كاتب الخزانة خوفا

عظيما اتقطع منه قلبه فمات شابا سنة ٦٨٨

ابن حزم

ابو محمد على الظاهري الامام العلامة الحافظ المجتهد كان كثير الوقوع فى العلماء ففرت

عنه القلوب وتآلب عليه الفقهاء واتفقوا على بغضه وتضليله وشنعوا عليه وخذروا سلاطينهم

من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنومه فأقصته الملوك وشردته عن بلادها حتى انتهى الى

بادية فلاة فنوفى بها سنة ٤٥٦

ابو الحسن

علي بن بوعت كان شاعرا مجيدا الا انه كان قليل الحظ من الدنيا لم يزل رقيق

الحال ضعيف القدرة الى ان توفي وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة بمصر سنة ٤١٦

ابو حاتم السجستاني

قال التبغاشي وغيره كان افضل اهل زمانه علماً وورعاً وبلغ من فضله انه كان يتصدق كل يوم بدينار ويختم القرآن في كل اسبوع وكان من اطرف اهل زمانه واطيبهم خلوة واحسنهم مفاكة الا انه كان مولعاً بالعلمان يذهب فيهم مذهب الاستمتاع بالنظر لافضاء الوطر وذكر ان المبرد ابا العباس كان يحضر حلقة يقرأ عليه وكان المبرد من اجمل اهل زمانه فقال فيه ابو حاتم

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| وقف الجمال بنجده | فسما به حذو الامام |
| حركاته وسكونه | تحيا بها مهج الانام |
| فاذا خلوت بمثله | وعزمت فيه على اغترام |
| لم أعد افعال العفا | ف وذاك اوكد للغرام |
| نفسى قد اؤك يا ابا ال | عباس حل بك اعترام |
| فارحم اخاك فانه | نزر الكرى بادي السقام |
| وانه ما دون الحرام | مفليس يطمع في الحرام |

وقرأت من خط الشيخ شهاب الدين السجستاني «ابو حاتم السجستاني سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني ثم البصرى النحوى المقرئ صاحب المصنفات اخذ عن ابي عبيدة وابي زيد الانصارى والاصمعي وغيرهم وحمل الناس القرآن والحديث والعربية وكان جماعاً للكسب واه اليد الطولى في اللغة والشعر والعروض والمعنى ولم يكن حاذئاً في النحو وله اعراب القرآن وكتاب ما يلحن فيه العامة والمقصود والممدود وكتاب القسي والنبال والسهام وكتاب الهجاء وكتاب الشتاء والصيف وكتاب النحل والعسل وكان ابو العباس المبرد يلازم حلقة وهو غلام وسيم في نهاية من الجمال فعمل فيه ابو حاتم وذكر الايات المذكورة توفي سنة ٢٥٠

ابن الجبان

الاصفهاني محمد بن علي بن عمر بن الجبان الاصفهاني ابو منصور احد حساب الري وعلمائها الاعيان جيد المعرفة باللغة ومن تصانيفه كتاب ابنية الافعال وكتاب الشامل في اللغة وهو كتاب كبير وشرح الفصيح وهو حسن قال ياقوت وجدت خطه على كتاب الشامل له وقد كتبه في سنة ٤١٦ و ذكره يحيى بن منده فقال بينه وبين صاحب ابن عباد مكاتبات وعاق غلاما من الديلم يقال له التركاني فاتفق للغلام انه عزم على الحج فلم يجد ابن الجبان بدا من موافقته ومرافقته فلما بلغا الميقات وأحرما وأخذوا في التلبية قال ابن الجبان ليك اللهم ليك والتركاني ساقني اليك وكان هجيرا

يانسيم الروض في السحر وشبيه الشمس والقمر

ان من اسهرت لياته لقرير العين بالسهير

ثم ابتلى بفراقه فكتب اليه

ياوحشتي لفراقكم اترى يدوم على هذا

الموت والاجل المتاح وكل معضلة ولا ذا

نقلت هذه الترجمة من خط الشيخ نور الدين الاياري

السهيلي

عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد ابوالقاسم وابو زيد وابو الحسن الخثعمي السهيلي الاندلسي المالقي النحوي الحافظ. ناظر على بن الحسن بن الطراوة في كتاب سيدويه وسمع منه كثيراً من كتب اللغة ذكر انه استخرج الروض الانف من نيف وعشرين ومائة ديوان وله كتاب التعريف والاعلام بما اهتم في القرآن وكتاب شرح آية الوصاية وشرح الجمل ولم يتمه واستدعي الى مراکش ليعلمع بها وبها توفي قال ان خلقكان وكان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نفي خبره الى صاحب مرا كش فطلبه وأحسن اليه واقام بها نحو ثلاثة اعوام ثم توفي سنة ٥٨١

ابن دحية الكلبي

العلامة ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن الجليل المعروف بابن دحية الكلبي كان يكتب لنفسه ذو النسبتين بين دحية والحسين وانه سبط ابي السام الحسيني الفاطمي . كان له التصانيف الفائقة والرحلة الواسعة والدراية الحسنة بالنحو واللغة والحديث متناً واسناداً وروى عن جماعة وروى عنه جماعة طول الحافظ الذهبي روايته ومن روى هو عنه واطال ترجمته الى ان قال قال ابن واصل وكان ابو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث متها بالمجازفة في النقل وبلغ ذلك الملك الكامل وقد بنى له دار الحديث بالقاهرة فأمره ان يعلق شيئاً على احاديث الشهاب فعلق كتاباً تكلم فيه على احاديثه واسناده فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد حين قد ضاع مني فمات لي مثله ففعل فجاء في الثاني بمناقضة الاول فعلم السلطان صحة ما نقل عنه وعزله من دار الحديث قال ابن تقطه كان يدعى اشياء لا حقيقة لها - ذكر لي ابو القاسم بن عبدالسلام وهو ثقة قال نزل عندنا ابن دحية فكان يقول انا احفظ صحيح مسلم والترمذي فخلطنا له احاديث من الترمذي باحاديث موضوعة وامتحناه بها فلم يعرف منها شيئاً قال ابن خلكان وصنع له ظفر صاحب اربل قصيدة ادعى انها له فظهرت في ديوان الاسعد بن ممتي قال الذهبي وكذلك نسبة شيء لا حقيقة له قرأت بخط بن مدي كان ابوه تاجر يعرف بالكلبي بين الفاء والباء وهو اسم موضع بدائية وكان ابو الخطاب يكتب اولاً الكلبي معاً إشارة الى النسب والبلد توفي سنة ٦٣٣

المسعودي

شارح المقامات محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود ابو سعيد وابو عبد الله ابن ابي السعادات المسعودي الخراساني روى عن جماعة وروى عنه جماعة وكان المحدثون يمينونه كما قال الذهبي وقال ابن خليل الادمي لم يكن في قلبه بثقة ولا مأمون توفي سنة ٥٨٤

الشاطبي

القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الاندلسي الشاطبي المقرئ احدى الاعلام كان اماما علامة نبيلاً واسع المحفوظ كثير الفنون بارعاً في القراءات وعلماً حافظاً للحديث استأذنا في العربية وقصيداته في القراءات والرسم مما يدل على تبحره - قال الذهبي وصبر على فقر شديد ثم قدم القاهرة فطلبه القاضي الفاضل للقراء بمدرسته فأجاب بعد شروط اشترطها - قال السخاوي أقطع بأنه كان مكاشفاً وانه سأل الله تعالى كفاف حاله ما كان احد يعلم اى شىء هو - توفي سنة ٥٩٥

ابن طارق

احمد بن طارق بن سنان ابو الرضي الكركي الاصل البغدادي المولد. التاجر المحدث سمع من ابي نصر موهوب بن الجواليقي وابي الفضل بن الارموي واحمد بن طاهر المهسي وجماعة غيرهم طول روايته وذكر من روى عنه الذهبي ثم قال ابن النجار الا انه كان غالباً في التشيع شحيحاً مقترأً على نفسه يشتري من لقم المكدين ويتبع المحدثين ليا كل معهم ولا يشعل في بيته ضوءاً وخلف تجارة تساوى ثلاثة آلاف دينار مات في سنة ٥٩٢ وبقي في بيته اياماً لا يدري به واكملت الفارة اذنيه وانفه

القاضي الفاضل

ابو علي بن القاضي الاشرف ابي الحسين اللخمي العسقلاني اليبساني مسودات رسائله لا تقصر عن مائة مجلد قال الموفق عبد اللطيف كان قليل النحو لكن له دربة قوية تعرض له قلة اللحن وكان متقللاً في مطعمه ومنكحه وملبسه لباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين وكان فيه سوء خلق يكتمه ولا يظهره - توفي سنة ٥٩٦

ابن بيان

ذو الرياستين محمد بن محمد ذي الرياستين بن ابي الطاهر الايبارى المصرى ابو الفضل سمع من خلق وكتب الكثير بخطه وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية وتقلب في الخدم في الايام الصلاحية وكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه ويمتدحه

ويفتخر بالوصول اليه فلما جاءت الدولة الصلاحية قال القاضي الفاضل هذا رجل كبير
القدر يصلح ان يجرى عليه ما يكفيه ويجلس في بيته ففعل به ذلك ثم انه توجه الى
اليمن ووزر لسيف الاسلام ثم عاد وعليه ديون ثقيلة وأدى أمره الى ان جاس في
والجامع الازهر وكان ينتقص القاضي الفاضل لا يراه بالعين الاولى والفاضل يقصر في حقه
فيقصر الناس معه مراعاة له وكان بعض من له عليه دين اعجباً جاهلاً فصعد الى
سطح الجامع وسفه عليه وقبض على لحيته ففر والقي نفسه من سطح الجامع فتهشم
وحمل الى داره فبقي اياماً ثم مات سنة ٥٩٦

ابن بصيلة

عبد الله بن خلف بن رافع الحافظ ابو محمد بن بصيلة المكي الاصل القاهري كان
حافظاً محصلاً عالماً بالتواريخ والوفيات وجمع مجاميع مفيدة وشرع في تاريخ مصر
وعجز عن اكمله لضيق ذات يده - توفي سنة ٥٩٨

شميم

على بن الحسن بن عنبر الاديب ابو الحسن النحوي المعروف بشميم الشاعر الحلي
قدم بغداد وتادب بها على ابي محمد بن الحشاب وغيره وحفظ كثيراً من اشعار العرب
واحكم اللغة والعربية وقال الشعر الجيد الا ان حمقه أخره - قال الذهبي قرأت بخط محمد
ابن عبد الجليل الموماني قال بعض العلماء وردت الي آمد سنة ٥٩٤ فرأيت أهلها
مطبقين على وصف هذا الشيخ فقصدته ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً نحيف
الجسم وبين يديه حمدان مملوء كتباً من تصانيفه فسأمت عليه ثم قلت انما جئت
لأقتبس من علومك شيئاً فقال أي علم تحب قلت الادب قال ان تصانيفي في
الادب كثيرة وذلك ان الاوائل جمعوا أقوال غيرهم وبو بها وأما أنا فكل ما عندي من
نتائج فكري فاني قد عملت كتاب الحماسة وابوتام جمع اشعار العرب في حماسته وانا
فعلت حماسة من شعري ثم سب اباتمام وقال رأيت الناس مجمعين على استحسان
خمريات أبي نواس فعملت كتاب الخمريات من شعري ورأيتهم مجمعين على خطب

ابن نباتة فعمات خطبا وجعل يزري بالمتقدمين ويصف نفسه ويجهل الاوائل ويقول
ذاك الكلب قال كذا قلت فانشدني شيئا من شعرك فانشدني من الخريات له
فاستحسن ذلك فغضب وقال ويلك ما عندك غير الاستحسان فقلت فما أصنع قال
تصنع هكذا ثم قام يرقص ويصفق الى ان تعب ثم جلس يقول ما أصنع بيها ثم شطح
في الكلام وقال ليس في الوجود الا خالقان واحد في السماء وواحد في الارض فالذي
في السماء هو الله تعالى والذي في الارض انا ثم التفت الى وقال هذا لا يحتمله العامة
لكونهم لا يفهمونه انا لا اقدر على خلق شيء الا خلق الكلام فقلت يا مولانا انا
محدث وان لم يكن في المحدث جراءة مات بغيظه وأحب ان اسألك عن شيء فتبسم
وقال ما اراك تسأل الا عن معضلة هات فقلت لم سميت شميا فشمني وقال اعلم أنني
بقيت مدة لا اتعوط ثم يجيء كالبنديقة من الطين فكنت آخذه وأقول لمن أنبسط اليه
شمه فانه لا رائحة له فالتفت بذلك أرضيت يا ابن الفاعلة — قال ابن النجار كان ادبيا
مبرزاً في علم اللغة والنحو لكنه كان احمق قليل الدين رقما يستهزئ بالناس ولا يعتقد
ان في الدنيا مثله ولا يكون أبداً — وحكى ابن العديم بسنده انه كان لا يأكل الا التراب
فكان رجيعه يجيء يابساً لا ريح له فيجعله في جنبه فمن دخل عليه اشمه اياه ويقول قد
تجوهرت — توفي سنة ٦٠١ وله عدة كتب كثيرة يطول ذكرها

الجزولي

عيسى بن عبد العزيز بن بلبلخت بن عيسى العلامة ابو موسى الجزولي اليزدكتي
المراكشي النحوي حجب ولزم العلامة عبد الله بن بري وأخذ العربية عنه جماعة وكان
علامة لا يشق غباره في النحو مع جودة التفهيم وحسن العبارة وأتى في مقدمته بالعجائب
حتى ان الشخص يعرف المسئلة من النحو معرفة جيدة واذا رآها في الجزولية يدور رأسه
فيها واسم هذه المقدمة القانون وكان ينكر أنها له تورعا لانها نتائج بحوثه على ابن
بري وبحوث رفقائه وبلبلخت جده رجل بربري وجزولة بطن من البربر قال الذهبي
وقرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني ان الجزولي قاسى بمدة مقامه بمصر كثيرا من

الفقر ولم يدخل مدرسة وكان يخرج الى الضياع يؤم يقوم فيحصل ما ينفقه في غاية الصبر ورجع الى المغرب فقيرا مدقعا فلما وصل الى المرية او نحوها رهن كتاب ابن السراج الذي قرأه علي ابن برى وعليه خطه فأنهى المرتن امره الى الشيخ ابي العباس المغربي احد الزهاد بالمغرب وكان يصاحب بني عبد المؤمن فأنهى ابو العباس ذلك الى السلطان فأمر باحضاره وقدمه واحسن اليه انتهى - وصنف كتابا في شرح أصول ابن السراج واخذ عنه النحو ابو علي الشلوبين ويحيى بن معطي - توفي سنة ٦٠٧

التاج الكندي

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن العلامة تاج الدين ابو اليمن الكندي البغدادى المقرئ النحوى اللغوى اعلى أهل الارض اسنادا فى القراءت - قال ابن النجار كان اعلم اهل زمانه بالنحو اظنه يحفظ كتاب سيوييه ما دخلت عليه قط الا وهو في يده يطالع فيه وهو فى مجلد واحد بخط رفيع والشيخ يقرأه بلا كلفة وقد بلغ التسعين - قال القفطى كان بحلب يبتاع الخليج من اللبوس ويتجر به الى بلد الروم ثم ترقى به الحال وكان اينا فى الرواية معجبا بنفسه فيما يذكره ويرويه اذا نوظر جبهه بالقبيح ولم يكن موفق العلم رأيت له اشياء باردة - قال واشتهر عنه انه لم يكن صحيح العقيدة قال الموفق عبد اللطيف كان معجبا بنفسه مؤذيا لجليسه - توفي سنة ٦١٢

ياقوت

ابن عبد الله شهاب الدين الرومى الحموى البغدادى الامام النحوى اللغوى الاخبارى صنف كتاب معجم البلدان وكتاب معجم الادباء وارشاد الالباء الى معرفة الادباء فى اربع مجلدات واخبار الشعراء المتأخرين ومعجم الشعراء وكتاب المشترك وضعما المختلف صقعا وكتاب المبدأ والمآل فى التاريخ وكتاب المقتضب فى النسب اتفق له مرة أنه تنقص عاياً رضى الله عنه فثار عليه الناس وكادوا يقتلونه فهرب الى حلب ثم الى الموصل واربل وودخل خراسان واستوطن مرو ويتجر ثم دخل خوارزم فصادفه خروج التار فانهزم بنفسه وقاسى شدائد وتوصل الى الموصل وهو فقير داثر - قال الذهبى قال جمال

لدين القفطى في تاريخ النحاة له انه كتب اليه رسالة من الموصل شرحا لما تم على خراسان ومنها كان المملوك لما فارق مولاه اراد استعاب الدهر الجامع واستدرار حلب الزمان الجامع اغترارا بان الحركة بركة والاغتراب داعية الاكتساب فامتطى غارب الأمل الى الغربية وركب ركوب التطواف مع كل صحبة فلم يرث له دهره الخوئن ولا رق له زمانه المفتون

ان الليلى والايام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا
وهيات مع حرفة الادب بلوغ وطر أو ادراك أرب ومع عبوس الحظ ابتسام
الدهر الكظ ولم ازل مع الدهر في تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وهي
طويلة - توفى سنة ٦٢٦

ابن معطى

يحيى بن عبد النور الشيخ زين الدين ابو الحسين الزواوي المغربي النحوي الحنفي صنف فى الادب والنحو والعروض وحمل الناس عنه وكان اماما مبرزا فى علم اللسان شاعرا محسنا وكان احد الشهود بدمشق وليس له من طرق الكسب ما يقوم بكفايته كما قال الحافظ الذهبي فحضر مع العلماء عند الملك الكامل وكان له طرف من النحو فسألهم فقال زيد ذهب به هل يجوز فى زيد النصب فقالوا لا فقال ابن معطى يجوز النصب على ان يكون المرتفع بذهب المصدر الذى دل عليه ذهب وهو الذهاب وعلى هذا فوضع الجار والمجرور الذى هو به النصب فيجىء من باب زيد مرت به اذ يجوز فى زيد النصب فكذلك ههنا فاستحسن السلطان جوابه وامره بالسفر معه الى مصر فسافر وقرر اه معلوما قال الذهبي فلم تطل مدة حياته فتوفى سنة ٦٢٨

ابو حامد

الاسفراينى احمد بن محمد بن احمد الاسفراينى الشيخ ابو حامد بن ابي طاهر شيخ طريقة العراق بل امام المذهب على الاطلاق شيخ الاسلام والمسلمين قاطبة ورحلة الطلاب طبق الشيخ ابو حامد الارض بالاصحاب وجمع مجلسه ثلثائة متفقه

واتفق الموافق والمخالف على تفضيله حتى قال ابو الحسين القدورى هو عندى أفضه او انظر من الشافعي وافتي وهو ابن سبع عشرة سنة وقام يفتي الى ثمانين سنة انتهت اليه رئاسة الدين والدنيا حتى انه قال للخليفة انك لست بقادر على عزلى من ولايتى التى أولانى الله تعالى اياها وانا اقدر ان اكتب الى خراسان بكلمتين او ثلاثة اعزلك عن خلافتك وارسل الى مصر فاشترى امالى الشافعي بمائة دينار - قال السبكي فى الطبقات عن سليم الرازى ان الشيخ ابا حامد كان يحرس فى درب وكان يطالع فى زيت الحرس ويأكل من اجرة الحرس - توفى فى شوال سنة ٤٥٦

ابن عنين

محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عنين الاديب الرئيس شرف الدين ابو المحاسن الانصاري الكوفي دمشقى الشاعر المشهور سمع من الحافظ ابى القاسم ابن عساكر كان غزير المادة مطلعا على اشعار العرب واشتغل على القطب النيسابورى والفخر الرازى وجال فى البلاد ومدح الملوك والوزراء وهجا الصدور والكبراء أقامه الملك المعظم مقام نفسه فى ديوانه فأحسن السياسة الا انه فى الاخير ظهر منه سوء اعتقاد وطن فى السلف واستهتار بالشريعة وكثر عسفه وظلمه وترك الصلاة وسب الانبياء صلوات الله عليهم ولم يزل يستورد الخمر الى ما قبل وفاته بقليل - توفى سنة ٦٣٠

ابن حمويه

اليزدى على بن احمد بن الحسين بن احمد بن الحسين حمويه الامام ابو الحسن اليزدى الشافعي المقرئ المحدث نزيل بغداد حدث عن خلق ذكرهم الحافظ الذهبي وذكر من روى عنه قال وقرأت بخط احمد بن شافع أن مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً قال ابو سعيد السمعانى فقيه فاضل سخي النفس بما يملك كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه اذا خرج ذلك قعد هذا واذا خرج هذا قعد الآخر هكذا ترجمه الذهبي وطول فى ترجمته فذكر مشيخته وكراماته الا انه قال زاهد - توفى سنة ٥٥١

نفظويه

ابراهيم بن عرفة ابو عبد الله النحوى المعروف أخذ العربية عن المبرد وتعلب
ومحمد بن الجهم وخاط نحو الكوفة بنحو البصرة وتفقه على مذهب داود بن علي
الظاهرى ومن تصانيفه كتاب التاريخ. غريب القرآن. المقنع فى النحو. المصادر. الوزراء.
وغير ذلك وكان مع كونه من اعيان العلماء غير مكترث باصلاح نفسه وكان يفرط به
الصنات فلا يعرّه وحضر يوماً مجلس وزير المقتدر حامد بن العباس فتأذى هو
وجلساؤه من صنائه فطلب الوزير مرتكاً فبدأ بنفسه واداره على الجماعة فتمرتكوا
وفطنوا مراده فقال نفظويه لا حاجة لى به فراجعه فأبى فاحتد حامد وقال عاض كذا
من امه انما تمترتكنا من اجلك فانا تأذينا بصنانك قم لا أقام الله لك وزناً اخرجوه وابعده
بغداد -- توفى سنة ٣٢٣ ولقب نفظويه لرمامته وأذيته تشبيهاً بالنفظ.

امام الأئمة ابن خزيمة

محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة ابو بكر السلى النيسابورى المجتهد المطلق
البحر العجاج روى عن خلائق وروى عنه الأئمة البخارى ومسلم ويحيى بن محمد بن
صاعد وغيرهم - قال الحاكم سمعت ابا عمرو بن اسماعيل يقول كنت فى مجلس ابن
خزيمة فاستمد مدة فناولته القلم بيساري اذ كانت يمينى قد اسودت من الكتابة فلم
يأخذ القلم وأمسك فقال بعض اصحابه لو ناولت الشيخ يمينك فقد امتنع ان يأخذ من
يسارك فأخذت القلم يمينى وناولته اياه فأخذه منى وقد اطال الحاكم فى تاريخ نيسابور
ترجمته بما لا مزيد على حسنه - قال السبكي فى الطبقات قال ابو احمد الدارمي كان له
قميص يلبسه وقميص عند الخياط فاذا فرغ الذى يلبسه وهبه وغدوا الى الخياط وجاؤا
بالقميص الآخر وقيل له يوماً لو حلقت شعرك فى الحمام فقال لم يثبت عندى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل حماماً قط ولا حلق شعره انما تأخذ شعري جارية بالمقراض
- توفى سنة ٣١١

ابو عمر

محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين
صحب ابا العباس ثعلباً فعرف به وله تصانيف كثيرة وكان لسعة روايته وحفظه
يكذبه ادباء زمانه في اكثر نقل اللغة ويقولون لو طار طائر يقول ابو عمر حدثنا ثعلب
عن ابن الاعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً وكان أغلب تصانيفه من حفظه حتى انه
املى في اللغة ثلاثين الف ورقة فهذا الاكثار نسب الى الكذب قال الملك المؤيد
صاحب حماه في تاريخه وكان اشتغاله بالعلوم قد منعه من اكتساب الرزق فلم يزل
مضيقاً عليه - توفي سنة ٣٤٥

ابو الوقت السجزي

عبد الاول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم بن اسحاق ابو الوقت
السجزي الاصل الهروي الصوفي مسند العصر ورحلة الدنيا روى عن خلائق وروى عنه
امم لا يحصون حكى عنه والده انه اخذه ماشياً من هراة الى بوشبخ ليسعه الحديث
وكان ابوه ايضاً ماشياً فكان اذا أعيأ حمله على كتفه وعمره اذ ذاك دون عشر
سنين قال وكنا نلتقى علي افواه الطرق فلاحين فيقولون يا شيخ عيسى ادفع الينا هذا
الطفل نركبه واياك فيقول معاذ الله ان يركب في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فلحسن نية الوالد صارت الوفود ترحل الى من الامصار - توفي سنة ٥٥٣

ابن نباتة السعدي

ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي اديب فضله تام وروض علمه زاهر
اصفى عليه حرمانه ولم يسعفه زمانه ورد على ابي الفضل بن العميد وامتدحه بقصيدته
التي اولها

برح اشتياق وادكار وهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها ترفض عن نوم مطار
لله قلبي ما يجن من الهموم وما يوار

وكبرت عن وصل الصغار وما سلوت عن الكبار
ومنها

لم يبق لي عيش يدا إذ سوى معانقة العقار
وإذا استهل فتى العمي إذ تضاحكت ديم القطار
حر صفت أخلاقه صفوا السبيك من النضار

فتأخرت صلته فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزلها ابن العميد غير الإهمال فتوصل إلى أن دخل عليه ومجلسه محتفل بالأعيان فأشار بيده إليه وقال أيها الرئيس اني لزمك لزوم الظل وذلت لك ذل النمل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك ووالله ما بي الحرمان ولكن شماتة قوم نصحوني فاغتشتهم وصدقوني فانهمتهم فبأى وجه ألقاهم فان كان للنجاح علامة فأين هي وما هي ان الذي تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك فزاحم بمنكيك أعظمهم سناء وأنورهم شعاعا فحار ابن العميد وشده واطرق ساعة ثم قال هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة منا في المعذرة واذا ترامينا مادفنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباتة هذه نفثة مصدر والغني اذا مطلق لثيم فاستشاط ابن العميد وقال والله ما استوجبت هذا العتب من احد من خلق الله ولست ولى نعمتي فأحتملك ولا صديعتي فاغضى عنك وان بعض ما أفررتة في مسامعي تنقض منه مرة الحليم ويبدد شمل الصبر - هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحى - فقال ابن نباتة لما جلست في صدر ايوانك بأهبتك وقلت لا يخطبني أحد الا بالرياسة دعوتني بلسان الحال وان لم تدعني بلسان المقال فثار ابن العميد مفضبا ودخل حجرته وتعوض المجلس وسمع ابن نباتة ذاهبا وهو يقول والله ان سف التراب والمشى علي الحجر أهون من هذا فلعن الله الأذب ان كان بائمه مهينا له ومشتريه مما كسأ فيه فلما سكن غيظ ابن العميد وثار اليه علمه التمسه ليعتذر اليه فكأنما غاص بين سمع الارض وبصرها فكان حسرة في قلب ابن العميد الى ان مات اه ملخصا من ابن خلكان

الزبيدي

محمد بن يحيى بن علي بن مسلم القرشي الزبيدي الواعظ أبو عبد الله كان له معرفة بالنحو والادب قال الذهبي قال احمد بن صالح بن شافع كان له في علم الاصول وعلم العربية حظ وافر وصنف كتباً في فنون العلم تزيد على مائة تصنيف قال الحافظ الذهبي وكان صبوراً علي الفقر متعففاً حنفي المذهب قال ابو الفرج ابن الجوزي حدثني لوزير ابن هبيرة قال جلست مع الزبيدي من بكرة الى قريب الظهر وهو يلوك شيئاً في فيه فسألته فقال لم يكن لي شيء فأخذت نواة أتعلل بها قال ابن السمعاني كان فينا عجباً يخضب بالحناء ويركب حماراً مخضوباً ويعظ ويحبه بالحق - توفي سنة ٥٥٥

ابو النجيب السهروردي

عبد القاهر بن عبد الله بن محمد الشيخ ابو النجيب السهروردي الصوفي الواعظ الفقيه الشافعي قال الذهبي الزاهد حفظ كتاب الوسيط في التفسير الواحدى وسمع كتب الحديث المشهورة وتفقه على اسعد الميمنى وتأدب على الفصيحى وكتب عنه ابو سعد السمعانى - قال ابن النجار انبأنا يحيى بن القاسم التكريتى انبأنا ابو النجيب قال كنت ابقي اليوم واليومين لا استطعم بزاد وكنت انزل الى دجلة وأتقلب في الماء حتى يسكن جوعى حتى دعتنى الحاجة الى ان اتخذت قربة وكنت استقيها الماء لا قوام فلما تعذر ذلك فى الشتاء خرجت الى بعض الاسواق فوجدت رجلاً بين يديه طبرزين وعنده جماعة يدقون فقلت هل لك ان تستأجرنى فقال أرنى يدك فأرته فقال هذه يد لا تصلح الا للقلم ثم ناولنى قرطاساً فيه ذهب فقلت ما آخذ الا اجرة عملى وكان رجلاً يقظاً قال اصعد وقال لغلامه ناوله تلك المدقة فناولنى فدقمت معهم فلما عملت ساعة قال تعال فجئت اليه فناولنى الذهب وقال هذه اجرتك فاخذته وانصرفت ثم وقع فى قلبى الاشتغال فاشتغلت ثم قال ابن النجار ثم وعظ على اصحابه بخرقة على دجلة يحضره الرجل والرجلان الى ان اشتهر اسمه وضار له القبول عند الملوك وزارته السلاطين وبنى تلك الخربة رباطاً وبنى الى جانبها مدرسة ثم ولى التدريس بالنظامية وعزل عنها بعد سنتين

توفي سنة ٥٤٥

الميداني

احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم ابو الفضل الميداني صاحب الامثال تلميذ ابى الحسن الواحدى واشتمل كتابه فى الامثال على ستة آلاف مثل ولما وقف عليه الزنخشرى حسده فزاد فى لفظه الميداني نوناً قبل الميم فصار النמידاني وهو بالفارسية الذى لا يعرف شيئاً فعمد الى تصنيف الزنخشرى وعمل الميم نوناً فصارت الزنخشرى وهو بالفارسية بائع زوجته قال محمد بن المعالى فى كتابه ضالة الاديب من الصحاح والتهذيب سمعت اكابر اصحاب الميداني يقولون لو كان للوفاء والشهامة والفضل صورة لكان الميداني صورتها ومن نظمه رحمه الله تعالى

شفة لهاها زاد فى آلامى فى رشف ريقتها شفاء سقامى

قد ضمنا جناح الدجى وللثمنا صوت كقطك ارؤس الاقلام

توفي سنة ٥٣٩

ابو العلاء الهمداني

الحسن بن أحمد بن الحسن بن احمد الحافظ ابو العلاء الهمداني العطار المقرئ الحنبلى المحدث شيخ مدينة همدان اربى على أهل زمانه فى كثرة السماعات وتحصيل الاصول وبرع على حفاظ عصره فى حفظ ما يتعلق بالحديث من الانساب والتواريخ والاسماء والكنى والقصاص والسير - قال الحافظ عبد القادر الرهاوى شيخنا الامام ابو العلاء أشهر من ان يعرف بل تعذر وجود مثله فى أعصار كثيرة سمعت ان من جملة محفوظاته كتاب الجهرة رأى يوماً وعلى رأسى قلنسوة مكشوفة فقال لا تلبسها مكشوفة فان اول من أظهر لبس القلانس مكشوفة ابو مسلم الخراساني ثم شرع فى ذكر ابى مسلم فذكر احواله من اولها الى آخرها وجاءته مرة فتوى فى امر عثمان فأخذها وكتب فيها من حفظه ونحن جلوس درجاً طويلاً ذكر فيها وفاته وسنه ومولده وأولاده وما قيل فيه الي غير ذلك وكان من أبناء التجار وورث مالا فأنفقه فى طلب العلم حتى

سافر الى بغداد واصهبان مرات كثيرة ماشياً وكان يحمل كتبه على ظهره وسمعه يقول كنت أبيت ببغداد في المساجد وآكل خبزاً أدهن وسمعت شيخنا أبا الفضل الأديب الهمداني يقول رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه لان السراج كان عالياً ثم نشر الله ذكره في الآفاق وعظم شأنه عند الملوك والعموم حتى انه كان يمر في همدان فلا يبقى أحد يراه الا قام ودعاه حتى الصبيان واليهود - توفي سنة ٥٦٩

ابن مكتوم

صاحب الدر اللقيط نلميذ ابي حيان احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي تاج الدين الامام النحوي المحدث المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة فمنها تاريخ النحويين وكتاب الحيل وكتاب الدر اللقيط الذي انتقاه من البحر المحيط لابي حيان ومنها شرح تصريف ابن الحاجب واختصار تاريخ القفطي وشرح فصيح ثعلب وله مجاميع حسنة بنحطه ورأيت بنحط العلامة نور الدين الاياري اشياء حسنة يذكر أنه نقلها من خطه قال ابن مكتوم ومن خطه ثقات اذكر مرة وقد حمل الحسد على العلم بعض من ابتلاه الله بالجهل ممن كان يجالسني من اليهود على ان تألب عليّ واغانه على ذلك نويس من اشكاه فاجتمع عنده نحو الخمسة منهم وكتب هو بنحطه رسماً نسبني فيه الى الوقوع فيما يعلم الله براءتي منه وقد بهم ليشهدوا فيه عليّ زوراً بما تضمنه فأراد كل منهم ان يتقدمه غيره الى ذلك وجبنوا وألقى الله الرعب في قلوبهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة ففرقوا من فورهم خامين وصاروا عن قليل بعد الصحبة الاكيدة متعادين يذكر كل منهم عن الآخر ما اذا سمعه احزنه وغمه ولا يرقب في شتمه واغتيابه الا ولاذمه فالحمد لله الذي كفاني شرهم وجعل محل كيدهم نحرهم وحتى باغني ذلك من بعضهم ومن آخرين سواهم فلم اعتب أحداً منهم على ما فعله اذا داء الحسد كما علم لا دواء له فقال

سوى وجمع الحساد داء فإنه اذا حل في قلب، فليس يحول

وقل محمد بن عيسى بن حمدان القرطبي

كن من اخ في فؤاده دغل اخوف من كاسح يجاهده
برء السقام الخفي اعسر من برء سقام بدت شواهده
اه ما أردت نقله من خطه وجدت بخطه مجموعاً ومنه نقلت ما كتبت هنا وهو مكتوب
في ظهور الحجج والوثائق التي تجتمع عند الشهود بحيث انه صار مقسوماً صفحتين
صفحتين بين كل ظاهرين باطنان فيهما الوثيقة وهذا اما عن فقر عظيم او عن شح عظيم
وأياً ما كان فهو مستحق للذكر في هذا الفصل

ابن خالويه

الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه الهمداني اللغوي المقرئ النحوي ابو عبد
الله احد العلماء المشهورين والادباء المصنفين ومن تصانيفه كتاب الاشتقاق وكتاب
الجل في النحو وكتاب القراءات وكتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن وكتاب
المفصور والمدود وشرح شعر ابي فراس الحمداني وغير ذلك - قرأت بخط العلامة ابن
مكتوم انه كان يلقب بذي النونين لانه كان يطولها في خطه وهما نون الحسين ونون
ابن قال وقد رأيتهما طويلتين في آخر كتاب الجهرة بخطه وقد طولها جداً كما ذكر
عنه ووجد على نسخة من اصلاح المنطق بخط أبي الحسن علي بن عبد الله بن احمد
البرزار ما مثاله لما فرغت من هذا الجزء كان ابو سعيد العطاردي حاضراً فقال على لساني

قرأت ما فيه على الحسين قرأة صدق لم تشب بهين

مستفهم الشكل مرتين فجاء كالمسك على لجين

أو كمذار فوق عارضين حتى اذا ما تم لي باون

* شرفني الاسناد بالنونين *

قال ابن مكتوم كما نقلته من خطه وكان ابن خالويه على ايامه في اللغة ضعيفاً
في النحو وعلاه ضعيفاً في التصريف وله في ذلك مع ابي علي الفارسي وتلميذه ابي
الفتح بن جني حكايات معروفة ويحكى ان ابا الطيب المتنبى لما انشد سيف الدولة بن
حمدان قوله * وفاز كما كالعرب أشجاه طاسمه *

قال له ابن خالويه انما يقال شجاء لا اشجاه توهمه فعلا ماضياً فقال له المتنبى اسكت فما وصل الامر اليك وجرى بينه وبين الفارسي كلام فقال ابن خالويه تتكلم في كتاب سيبويه فقال له الفارسي لا بل تتكلم في الفصيح ولابي علي الفارسي في تغليظه كتاب تقض الهادورقلت وانت اذا وقفت على ضعفه في العربية وقفت على سر الحكاية المشهورة عنه وانها ليست من هضم النفس في شيء وهي انه قال له رجل اشتهي ان اعلم من العربية ما اقيم به لساني فقال انا منذ خمسين سنة اتعلم النحو ما تعلمت ما اقيم به لساني — توفي سنة ٣٧٠

ابن الجصاص

التمول الصدر الرئيس ابو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص البغدادى الجوهري التاجر السفار وقال ابن طولون لا يباع لنا شيء الا على يد ابن الجصاص صادره المقتدر في سنة ٣٠٢ فأخذ له من الذهب والجوهر ما قوم باربعة آلاف دينار وقال ابن الجوزى في المنتظم اخذوا له ما مقداره ستة عشر الف دينار عينا وورقا وخيلا وقاشا ويحكي عنه بله وتغفل. مر به صديق له فقال كيف انت فقال ابن الجصاص الدنيا كلها محومة وكان قد حم ونظر مرة في المرأة فقال لصاحبه تري لحيتي قد ظالت فقال المرأة في يدك قال الشاهد يرى مالا يرى الغائب ودخل يوماً على الوزير ابن الفرات فقال عندنا كلاب يجرموننا ننام فقال الوزير لعلمهم جراء فقال بل كل واحد قدي وقدك وفرغ من الاكل فقال الحمد لله الذي لا يخلف باعظم منه وأراد ان يقبل يوماً راس الوزير فقال ان فيه دهنا فقال أقبله ولو ان فيه خر أو وصف يوماً مصحفاً قديماً فقال كسروى توفي سنة ٣١٥

الاديب ابو بكر بن بقى

ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال نبيل النثر والنظام قليل الارتباط والانتظام ضناً عليه حرمانه وما صفا له زمانه فصار قعيد صهوات وقاطع فلوات مع توهم لا يطفئه باماني ومن نظمه الرقيق المعاني

عاطيته والليل يسحب ذيله صهبا كالمسك العتيق لناشق
حتى اذا مات به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانقي
باعده عن أضلع تشاقه كي لا ينام على وساد خافق
وله من قصيدة

ولكن ما جدى صبا غير لاقح يسد طريق المزن عن ارضي الفل
أخلاى والآداب تجمع بيننا وبعض طباع لست اقضى على كل
ذوى أملى عند اهتزاز عصوبة وارخصنى الدهر الذى كان بي يعلى
ومنها

وامدحهم ما حسبي الله كاذباً فيجزوننى بالمنع شكلا على شكل
أبو الحسن

على بن احمد بن نونحت كان أديباً مجيداً الا انه كان قليل الحظ من الدنيا لم
يزل رقيق الحال ضعيف المقدرة حتى توفي بمصر فى شعبان سنة ٤١٦ وهو على حاله
من الضرورة وشدة الفاقة فكفنه ابو محمد بن حيران متولى كتب السجلات بمصر

الصولى

ابو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله المعروف بالصولى احد الادباء الفضلاء
المشهورين زوى عن ابى داود السجستانى والمبرد وغيرهم ورعى عنه الدار قطنى
والمرزبانى وله التأليف المشهورة وكان اوحد وقته فى لعب الشطرنج وبه يضرب المثل
فيه خرج من بغداد لاضافة لحقته فتوفى سنة ٣٣٥

ابن ظفر

ابو عبد الله محمد الصقلى له التصانيف المتعددة منها سلوات المطاع وخير البشر وأنباء
نجباء الابداء والذبوع فى التفسير وشرح مقامات الحريرى والحاشية على درة الغواص
ذكره العماد فى الحريرة ولم يزل يكابد الفقر حتى مات قيل انه زوج ابنته بجاء من
غير كف للضرورة فرحل بها الزوج عن حماء وباعها فى بعض البلاد توفى سنة ٥٧٥

ابن السكيت

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت الامام اللغوي النحوي كان اول الامر
يؤدب اولاد العامة ببغداد بدرب القنطرة ثم ادب ولد بن طاهر والمتوكل وجعفر
قال الحسين بن عبد المجيب سمعت يعقوب بن السكيت في مجلس ابى بكر بن شبة يقول

ومن الناس من يحبك حباً ظاهر الحب ليس بالتقصير

فاذا ما سأله نصف فلس لحق الحب باللطيف الخبير

قيل ان المتوكل قتله وذلك ان المتوكل امره بستم رجل من قریش فلم يفعل فأمر
القرشى ان ينال منه ففعل فأجابه يعقوب فلما أجابه قال له المتوكل امرتك ان تفعل فلم
تفعل فلما شتمك فعلت فأمر بضر به فحمل من عنده صريعاً مقتولاً ووجه المتوكل الى
بنى يعقوب من الغد عشرة آلاف درهم فاله الا يارى في نزهة الالباء

الاديب ابو جعفر

ابن المثني ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال رافع راية القريض وصاحب آية
التصريح والتعريض اقام شرائعه واطهر روائعه وجعل عصيه طائعه وكان اليه غلمان
وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعاً ولا رتق متورعاً ولا اعتقد حشراً ولا صدق بهتاً
ولا نشرًا وربما تنسك مجونا وفتكاً وتمسك باسم التقى وقد هتك هتكاً لا يبالي كيف
ذهب ولا بما تمذهب وقد اثبت له ما يرتشفه ريقاً ويلحو الاوان منه شروفاً فمن ذلك
قوله

كيف لا يزداد قلبي من جوي الشوق خبالاً

واذا قلت على بهر الناس جمالاً

هو كالغصن وكالبد ر قواماً واعتدالاً

ان من رام سلوى عنه قد رام محالاً

لست اسلوعن هواه كان رشداً او ضلالاً

ولما اشتهر عند ناصر الدولة ما تقرر وتردد على مسمعه انتهت اكه وتكرر أخرجه
ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه

« الامام ابو سهل الصعلوكي »

محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الحنفي نسبا من بني حنيفة العجلي الامام
ابو سهل الصعلوكي شيخ عصره وامام الدنيا في الفقه والتفسير والادب واللغة والنحو
والشعر والكلام والتصوف وغير ذلك من أصناف العلوم - وعن صاحب ابي القاسم بن
عباد لم تر خراسان مثله ولا رأى هو مثل نفسه لقي ابا بكر بن خزيمه و ابا العباس
الماسرخسي الثقفي وغيرهم ومن الصوفية الرئيس الشبلي و ابا علي الثقفي وغيرهم وحكي
عنه انه قال ما مرت بي جمعة الاولى على الشبلي وقفة او سؤال وانه قال دخل الشبلي
على ابي اسحاق المروزي فرآني عنده فقال هذا المجنون من اصحابك لابل من اصحابنا
- وعن الشيخ ابي عبد الرحمن السلمي انه قال قلت للاستاذ ابي سهل في كلام جري
بيننا لم فقال لي اما علمت انه من قال لاستاذه لم لم يفلح ابدأ - قال السبكي في الطبقات قال
الاستاذ ابو القاسم القشيري سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول وهب الاستاذ ابو سهل
جيبته من انسان في الشتاء وكان يلبس جبة النساء حين يخرج الى التدريس اذ لم يكن له
جبة اخرى فيقدم الوفد المعروفون من فارس وفيهم من كل نوع امام من الفقهاء
والمتكلمين والنحويين فأرسل اليه صاحب الجيش ابو الحسن وأمره ان يركب لاستقبالهم
فلبس دراعة فوق تلك الجبة التي للنساء وركب فقال صاحب الجيش انه مستخف بي
امام البلد يركب في جبة النساء ثم ناظرهم فغلبهم اجمعين في كل فن - توفي في ذي القعدة
سنة ٣٦٩ وصلى عليه ابنه ابو الطيب ودفن في المجلس الذي كان يدرس فيه

« الغزى »

ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الغزى الشاعر المشهور
ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه وقال انه دخل دمشق ثم بغداد وأقام بالمدرسة
النظامية سنين كثيرة ومدح ورثى ثم رحل الى خراسان وانتشر شعره هناك وأثنى عليه

اه وذكره العماد الكاتب في الخريدة واثنى عليه وقال انه جاب البلاد وتغرب واكثر
التنقل والحركات وتغلغل في اقطار خراسان وكرمان ولقي ناصر الدين بن مكرم بن العلاء
وزير كerman ومدحه بقصيدته البائية التي يقول فيها

حملنا من الايام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائب

ومنها في قصر الليل

وليل رجونا ان يدب عذاره فما اختط حتي صار بالفجر شعائب

ومن شعره

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب ان نراه كاسدا ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ومن شعره

وخز الاسنة والخضوع لناقص امران في ذوق النهى مران
والرأي ان تختار فيما دونه ال مران وخز أسنة المران

ومن شعره

من آلة الدست ما عند الوزير سوى تحريك لحينه في حال ايماء
فهو الوزير ولا أزر يشد به مثل العروض له بحر بلا ماء

وله

وجف الناس حتى لو بكينا تعذر ما تبلى به الجفون
فما تندى لممدوح بنان ولا يندي لمهجو جبين

ولد بغزة وتوفي وقد جاوز التسعين ودفن ببلخ سنة ٥٣٤

ومن نظم الغزى

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم بعدى عن الناس في هذا الزمان حجا
اذا خروجك لم يخرجك عن كرب حسدت من كان جليس البيت ماخرجا
كم عالم لم يلج بالقرع باب غنى وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

قعدت في البيت اذ ضيقت منتظرا من رحمة الله بعد الشدة الفرجا
قال المصنف رحمه الله (تنبيه) قال كاتبه ومصنفه احمد بن علي الدلجي عافاه
الله من الفلاكة مها وجدت في ترجمة عالم او شاعرانه طاف البلاد وجال وتنقل فاحكم
عليه ما لم يكن محدثاً بانه في غاية الفلاكة وهذا امر يصححه عندي الذوق والوجدان
ولا أشك فيه وانا اقطع بأن التنقل من لوازم الفلاكة وما خرج احد من بلد ويمكنه
الاقامة فيها والله اعلم

« الفارابي »

محمد ابو نصر بن محمد بن اوزنغ بن طرخان من مدينة فاراب من بلاد الترك
كان اماماً فاضلاً وفيلسوفاً كاملاً برع في الفلسفة واتقنها وأظهر محاسنها وتفنن في فن الموسيقى
واخترع فيه ما لم يسبق اليه وشرح كتب الاوائل كان في اول الامر قاضياً ببلاده فأودع
عنده رجل من التجار جملة من كتب ارسطاطاليس فنظر فيها فصادت منه قبولا فترك
القضاء واكب عليها بجملته وتجرد وسافر الى بغداد واقام بها وقرأ بها المنطق علي يوحنا
بن حبلان وقرأ النحو علي ابي بكر بن السراج ثم سافر الى مصر ثم رجع الى دمشق
واقام بها الى ان مات — قال ابو الحسن الأمدى كان الفارابي متقناً باليسير من الرزق
وكان في اول امره ناظوراً ببستان بدمشق وهو في مثل هذه الحالة ملازم للاشتغال ليله
ونهاره وكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس ولم يزل كذلك حتى
ظهر فضله وكثرت تلامذته واجتمع به الامير سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبد الله
الثعالي فآكرمه وأوسع عليه فلم يقبل منه سوى اربع دراهم فضة في اليوم يصرفها في
الضروري من عيشه ومن دعائه اللهم ألبسني حلل البهاء وكرامات الانبياء وسعادة الاغنياء
وعلوم الحكماء وخشوع الاتقياء ومن شعره

بزجاجتين قطعت عمري وعليهما عولت امري
فزجاجة ملئت بجزر وزجاجة ملئت بجزمري
فبذى ادون حكمتي وبذى ازبل هموم صدري

وكان يرى الانفراد على شرب الخمر ولا يجب المتابعة عليها - توفي رحمه الله في
شهور سنة ٣٣٤ تقلت ذلك كله من عيون الانباء في طبقات الاطباء مما اختاره الحسن
ابن احمد بن زفر الاربلي الشافعي من تاريخ ابن اصبعة

« الهروي »

صاحب الغريبين ابو عبيد احمد بن محمد بن محمد بن عبيد العبدى الهروي القاشانى
من كبار العلماء اخذ عن ابى منصور الازهرى اللغوى وكتابه المذكور فسر فيه غريب
القرآن وغريب الحديث النبوى وسار فى الآفاق قال ابن خلكان وقيل انه كان يحب
البذلة ويتناول فى الخلوة ويعاشر اهل الادب فى مجالس اللذة والطرب عفا الله عنه
وقد أشار الباحزرى فى ترجمة بعض ادياء خراسان الى شئ من ذلك اه توفى سنة ٤٠١
وضبط القاشانى باثقال والشين المنقوطة

« ابن فارس اللغوى »

ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد الرازي اللغوى كان اماماً فى علوم
شتى خصوصاً اللغة فانه اتقنها واف كتابه المجلد فى اللغة وهو على اختصاره جمع اشياء
كثيرة وله رسائل أنيقة ومساائل فى اللغة يعاين بها الفقهاء ومنه اقتبس الحريرى ذلك
الاسلوب فى مقامته التى وضع فيها مائة مسألة وعنه اخذ البديع الهمداني ومن نظمه

اذا كنت فى حاجة مرسلا وانت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

واله

سقى همدان الغيث لست بسائل سوى ذا وفى الاحشاء نار تضرم
ومالى لا أصفى الدعاء لبلدة افدت بها بستان ما كنت اعلم
نسيت الذى احسنه غير اننى مدين وما فى جوف بيتى درهم

واله

وقالوا كيف حالك قلت خير تقضى حاجة وتفوت حاج

إذا ازدحت هموم الصدر قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج
نديى هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوق في السراج
توفى سنة ٣٩٠

جحظة

ابو الحسين احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف
بجحظة البرمكي كان فاضلاً صاحب فنون واخبار ونجوم ونوادير ومنادمة واشعار ومن شعره
فقلت لها بخلت عليّ يقظي فجودي في المنام لمستهام
فقلت لي وصرت تنام ايضاً وتطمع ان ازورك في المنام
وله

اصبحت بين معاشر هجروا الندي وتقبلوا الاخلاق من اسلافهم
قوم احاول نيلهم فكأنما حاولت تمف الشعر من آنافهم
هات اسقنيها بالكبير وغني ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وله

وقائلة لي كيف حالك بعدنا اني ثوب يسرانت ام ثوب معسر
فقلت لها لا تسأليني فاني اروح واغدو في حرام مقتر

توفى سنة ٣٢٦

ابن الخياط

الشاعر المفطور صاحب الديوان المشهور ابو عبد الله احمد بن محمد الثعالي المعروف
بابن الخياط طاف البلاد وامتدح الناس ودخل بلاد العجم دخل مرة الى حلب وهو
رقيق الحال لا يقدر على شئ فكتب الى ابن حبوس الشاعر المشهور

لم يبق عندي ما يباع بحبة وكفالك مني منظرى عن مخبرى
الا بقية ماء وجه صنيتها من ان تباع وأين اين المشتري

وقصيدته البائية كفاه بها تعريفاً بفضلها وهي التي اولها خذا من صبا نجد اماناً لقلبه .

توفى سنة ٥١٧

الحافظ ابو الفضل

محمد بن طاهر المقدسي ذكره الامام العلامة الحافظ عبد الكريم بن السمعاني في ذيله على تاريخ بغداد وقال في أثناء ترجمته كان بجرأ في الحديث وقال ايضاً في أثناء الترجمة رداً على الطاعنين فيه وفضل محمد بن طاهر ومعرفة بعلم الحديث وتصانيفه وتبحره لا ينكر ومن أنكر من مشايخنا عليه فانما انكر سيرته ولعله تاب - ونقل عن ابي الحسن بن ابي طالب الكرخي الفقيه انه قال عنه ما كان على وجه الارض له نظير ثم نقل عنه انه صنف كتاباً في جواز النظر الى المرد وانه قال رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مديح ونقل ايضاً عنه حكاية خرج منها انه كان في غاية الفقر وملخصها ان الحال اعوزته وهو يكتب الحديث ولم يبق معه غير درهم وهو محتاج الى كاغد والى خبز فردده بين الامرين يوماً وثانيه فلما كان اليوم الثالث قال لم يبق الا الخبز فاني ان اشريت به كاغداً لا أقدر على النسخ لاجل الجوع فوضعه في فيه وخرج ليشتري به فاتفق انه ابتلعه فأخذه الضحك فلقية ابو طاهر الصانع فسأله عن سبب ضحكك فكتمه اياه فألح عليه فامتنع فحلف عليه بالطلاق ليخبره الخبر فأخبره بالحال فحمله الى البيت وتسبب له في دراهم كثيرة اه ملخصاً

ابو العلاء محمد بن محمد بن صالح بن الهبارية

كان اماماً في علوم الادب بجرأ في النظم والنثر سلس الشعر مع قوة المعني وصحة المبني ومن نظمه يمدح امين الدولة بن التلميد وكان نصرانياً وكان محمد بن الهبارية شريفاً عباسياً

يا بني التلميد لو وافيتكم
انما طلقت كرماني بكم
برئيس الحكماء المرتجي
شمس مجد لا تراها أبداً
لم تكن نفسي بأهلي شففه
انكم لي عوض ما أشرفه
انه لي جنة مخترقه
عن سموات العلي منكسفه

جل ان يدرك وصف مجده
لوتمكنك لكانت جملي
فيه تفتخر الدنيا التي
انما احبو بني التلميذ بال
فابن يحيى منهم محي النداء
حق الكنية من والده
وهم من صاعد عن سادة
لا تقسهم بالورى كلهم
فابن ابراهيم لاهوت العلى
يارئيس الحكماء استجلها
اننى انفتت نجلى قاصداً
انه اكثر من كل صفة
فى زوايا داره معتكفه
اصبحت من غيره مستنكفه
مدح اذ كلهم ذو معرفه
زاد فى الجود على من خلفه
كرماً فيه وطبعاً ألفه
بأبي مجدهم ما أنظفه
فتقس لب السرى بالجعده
من دعاه بشراً ما أنصفه
من بنات الفكر بكرامتفه
اشتكى دهرأ قليل النصفه

قلت وقوله فابن يحيى منهم يحيى النداء الخ أراد به ابو الفرج يحيى بن التلميذ
وهو يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ الملقب بمعتمد الملك وله فيه مدائح غيرها
فمنها قوله

يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل
ما زال يعر بنى علاه ولم ازل
للمكرمات الى حياىي خالبا
بملاه ما بين البرية خاطبا
ومنها

لا تحوجن اخاك لابل عبدك ال
فلانت اولى بي لما عودتني
ثقة الخلافة سيد الحكماء مع
مازح وطياب ما استطعت فما الفتى
وفدائك من نوب الزمان وصرفه
قمن بن عبدك ان يروم اجانبا
عن غدالي فى الاصول مناسبا
تمد الملوك الفيلسوف الكتابيا
ممن يكون مزارحاً ومطايبا
قوم يزيدون الزمان معايبا

وسبب ذلك أنه أتاه الى اصفهان فحصل له مالا جزيلاً من كبارها

ابن المنير

ابو الحسين احمد بن المنير الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور مهر في اللغة والادب وقال الشعر فأجاد قدم دمشق وسكنها وكان كثير الهجاء بذي اللسان ولما كثرت منه ذلك سجنه نوري بن اتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانه فشفع فيه ونفي وله من جملة قصيدة

واذا الكريم رأى الخمول نزيله في منزل فالرأى أن يتحوला
كالبدر لما ان تضائل جد في طلب الكمال فحازه متنقلا

ومنها

لله علمي بالزمان وأهله ذنب الفضيلة عندهم أن تكلا
طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم ان قلت قال وان سكت تقولا
توفي في جمادي الآخرة سنة ٥٤٨

النفيس

ابو العباس احمد بن ابي القاسم المنعوت بالنفيس كان من العلماء والادباء وله ديوان شعر جاد فيه - ذكره العماد في الخريدة فقال فقيه مالكي المذهب له يد في علوم الاوائل والادب ومن شعره

يسر العيد اقوام لهم سعة من الثراء وأما المقفرون فلا
هل سرني وثيابي فيه قوم سبا امرأقني وعلى رأسي به ابن جلا
- توفي سنة ٦٠٣ بقوص بعد ان جاب البلاد واستجدى الناس بشعره

ابو الصلت

امية بن عبد العزيز الاندلسي كان اديباً ماهراً في علوم الاوائل ذكره العماد في الخريدة واثني عليه ومن نظمه
وقائلة ما بال مثلك خاملا أنت ضعيف الرأي ام أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم اني لمالم يحوزوه من الفضل حائز

مبرمان

النحوى شارح كتاب سيبويه وان كان لم يتمه هو ابو بكر بن محمد على العسكرى أخذ عن المبرد وتصدر بالأهواز - قال الذهبي كان وضع النفس يأخذ من الطلبة ويطلب جمال قصص فيحمله الى داره من غير عجز وربما انبسط فبال على الجمال ويتنقل بالتمر فيحذف بنواه الناس - توفى سنة ٣٢٧ ولقبه المبرد مبرمان لكثرة سوءه له ومن مصنفاته كتاب علل النحو وكتاب التلقين وكتاب شرح شواهد سيبويه وكتاب شرح سيبويه وكان اذا ركب فى طبلية الجمال وبال عليه اعتذر له بقوله احسب انك حملت رأس غنم

ابو الحسن الربيعى .

على بن عيسى بن الفرغ بن صالح ابو الحسن الربيعى النحوى الزيدى أحد أئمة النحو كان دقيق النظر فى النحو جيد الفهم والقياس لازم ابا على الفارسى عشرين سنة فقال له ابو على ما بقيت تحتاج الىّ ولو سرت من الشرق الى الغرب لم تجد أنفى منك ومن تصانيفه شرح الايضاح للفارسى وكتاب شرح مختصر الجرمى وكتاب البديع فى النحو وكتاب المبني على فعال وكتاب التنبيه على خطأ ابن جنى فى تفسير شرح المتنبي وكتاب شرح سيبويه وكان يرمى بالجنون مر يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل سراويله وجلس على أنفه وجعل يضطرب وينشد

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ونازعه يوماً شخص فى مسألة فعمد الى شرحه لكتاب سيبويه فوضعه فى اجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم الحيطان ويقول جزاء من يجعل اولاد البغالين نحاة وسأل من تلامذته ان يركبوا معه الى كلواد فظنوا حاجة عرضت فركبوا معه وعرضوا عليه الركوب فأبى فلما صار بجذائهم اوقفهم على سلم واخذ كساء وعصا وما زال يعدو على كلب هناك وهو يهرب منه تارة ويثب عليه اخرى حتى اعياه ذلك فعاونوه عليه فامسكه وعضه عضاً شديداً وقال هذا عضنى منذ ايام فاردت اخالف فيه قول الشاعر

شامني عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجيئه لاحتقاريه له ومن يعض الكلب ان اعضا

توفي سنة ٤٣٠

القالي

ابو الحسن على بن احمد بن على القالي كانت له نسخة من كتاب الجهرة لابن دريد
وكان كلفا بها فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد فيها آياتاً
بخط بائعها ابى الحسن القالي المذكور

انست بها عشرين حولاً وبعثتها
وما كان ظنى اننى سأبيعها
ولكن لضعف وافتقار وصبية
فقلت ولم املك سوابق عبرة
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك
قد طال وجدى بعدها وحنيني
ولو خلدتني فى السجنون ديونى
صغار عليهم تستهل جفونى
مقالة مكوي الفؤاد حزين
ودائع من رب بهن ضنين

البيهقى

احمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى الخسروجردي الامام
ابو بكر وخسروجردي بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو
وكسر الجيم وسكون الراء وفي آخره دال هو الامام الجليل الحافظ الفقيه الاصولى القائم
بنصرة مذهب الشافعى صاحب التصنيفات له كتاب السنن الكبير وكتاب المبسوط
فى نصوص الشافعى وكتاب دلائل النبوة وكتاب شعب الايمان وكتاب معرفة السنن
والاثر - قال تقي الدين السبكي معناه معرفة الشافعى بالسنن والاثر وغير ذلك قال
تاج الدين السبكي فى الطبقات كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متجملا فى
زهده وورعه - توفي فى نيسابور فى جمادى الاولى سنة ٤٥٨

« أبو سعيد الاصطخرى »

الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام الجليل ابو سعيد الاصطخرى القاضي

قال الخطيب احد الائمة المذكورين من شيوخ الفقهاء الشافعيين كان ورعاً زاهداً متقللاً قال الطبري وحكي عن الداركي انه قال ما كان ابو اسحاق المروزي يفتي بمحضرة الاصطخري قال ابو اسحاق المروزي سئل يوماً ابو سعيد عن المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملاً هل تجب لها النفقة فقال نعم فقيل ليس هذا من مذهب الشافعي فلم يصدق فأراه كتابه فلم يرجع وقال ان لم يكن مذهبه والا فهو مذهب علي وابن عباس قال ابو اسحاق فحضر يوماً مجلس النظر مع ابي العباس بن شريح فتناظرا فجري بينهما كلام فقال له ابو العباس انت سئلت عن مسألة فأخطأت فيها وانت رجل كثرة اكل الباقلاء قد ذهبت بدماعك فقال له ابو سعيد وانت كثرة اكل الخلل والمري قد ذهب بدينك - قال الطبري وكان من الورع والزهد بمكان لم يصله سواه يقال انه كان قيصه وعمامته وسراويله وطيلسانه من شقة واحدة وكانت فيه حدة وله تصانيف كثيرة فمنها كتاب أدب القضاء ليس لاحد مثله ومن مفردات مسائله قوله انه ينتقض الوضوء بمس الامر - توفي ببغداد في ثاني الجادين سنة ٣٢٨ نقلته من طبقات السبكي

السيد ركن الدين

الحسن بن محمد بن شرفشاه العلوي الحسيني الاسترآبادي تلميذ النصير الطوسي ابو الفضائل له عدة مصنفات منها شرح اصول ابن الحاجب وشرح مقدمته في النحو وشرح الحاوي شرحين وكان له ادرارات وجوامك كل يوم ستون درهماً كان يعيد دروس النصير الطوسي في الحكمة قال الشيخ شهاب الحسابي ومن خطه نقلت وكان في دينه رقة - توفي سنة ٧١٨ بالموصل

ابو هفان

عبد الله بن احمد بن حرب بن خالد ابو هفان النحوي اللغوي روي عن الاصمعي وصنف كتباً منها كتاب صناعة الشعر كبير وكتاب اخبار الشعراء قرأت بخط الحسابي انه كان مقترأ عليه ضيق الحال وان دعبل الخزاعي اضافه وسقاه نبيذاً حلواً ووصى الجوارى ان لا يدلوه على الخلاء ثم تركه ونام فقال لبعض الجوارى اين الخلاء فقالت لها الاخرى

ما يقول سیدی فقالت يقول غنی

خلامن آل عاتكة الديار فثوى اهلها منهم قفار

فغنت هذه وصرخت هذه وشربوا اقداحاً فقال احسنتم غير انكم لم تأتوا على ما في نفسي فلما اجهدته الامر قال لعل الجارية بغدادية لا تعرف الخلاء فقال لها اين المستراح ففعلوا كفعلهم الاول فقال لعلن حجازيات اين الحش ففعلوا كذلك ثم قال لعلن كوفيات اين الكنيف فأعادوا ذلك فحل سراويله وذررق في وجوههن فاتبه دعبل وامر له بثياب وهي حكاية طويلة قال سعيد بن حميد لابي هفان لان شرطت عليك شرطة لأبلغنك الى فيد فقال له ابو هفان أسعدني بأخرى تبليغي الى مكة فاني ما حججت بعد - مات سنة ٢٥٥

(الرياشي)

العباس بن الفرج الرياشي مولاهم قال المبرد سمعت المازني يقول قرأ الرياشي على كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني يعني انه أفاده لغته وشعره وافاده هو النحو قال المبرد وكان الرياشي والله أحق ومن حقه انه اذا كان صائماً لا يبلغ ريقه

(ابن بابشاذ)

النحوي البصري العلامة طاهر بن احمد بن بابشاذ ابو الحسن كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاء قط فرمي اليه بشيء فأخذه وذهب به وعاد سريعاً ثم فعل ذلك مرة بعد أخرى فعلم ان له سبباً فاتبعوه فاذا بقط آخر أعمي في سطح فقال الشيخ هذا حيوان بهيم قد ساق الله له رزقه أفلا يرزقني وأنا عبده فترك علائقه الدنيوية ولزم غرفة في جامع عمرو بن العاص وأقبل على العلم وجمع تعليقه في النحو قريباً من خمسة عشر مجلداً وأصحابه كابن برّي وغيره ينقلون منها ويسمونته تعليقة الغرفة وكان له معلوم وراتب على قراءته للكتب التي يكتبونها عن السلطان واصلاحها تعرض عليه قبل أن تحمل الي الجهة التي عينت لها - سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات من وقته سنة ٤٦٩

عبد الرحمن

ابن محمد بن عبيد الله بضم العين مصغر ابن ابي سعيد كمال الدين ابو البركات الانباري النحوي صاحب التصانيف المفيدة منها هداية الذاهب في معرفة المذاهب وبداية الهداية في الاصول والداعى الى الاسلام في الكلام والنور اللائح في اعتقاد السلف الصالح وفي الادبيات ما يزيد على خمسين مصنفاً انتهت الرحلة اليه بالعراق من سائر الاقطار - قال الموفق عبد اللطيف لم نر في العباد والمنقطعين اقوى طريقة ولا اصدق منه في اسلوبه جدّ محض لا يعتره تصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرتها نصف دينار في الشهر يقنع به ويشترى منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوءاً وتحتة حصير قصب وعليه ثوب وعمامة قطن يلبسهما عند المضي الى الجمعة ويلبس في بيته ثوباً خلقاً ولا يخرج منه الا يوم الجمعة وسير اليه المستضى، خمسمائة دينار فردها فقال له اجعلها لولدك فقال ان كنت خلقته ارزقه - توفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة ٤٧٧ ودفن في تربة الشيخ ابي اسحاق الشيرازي

الواحدى

على بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدى كان مفسراً نحوباً لغويّاً اصولياً انفق في صباه مالا على تحصيل العلم وكان من اولاد التجار وذكر في مقدمة تفسيره الذى سماه البسيط اشياخه ومن قرأ عليه قيل للغزالي لما صنف كتبه ما عملت شيئاً أخذت الفقه من امام الحرمين من نهايته وأسماء الكتب من الواحدى وكان الغزالي يقول من أراد أن يسمع التفسير كأنه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه بتفسير الواحدى وله كتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف وغيره وكان عديم النظر الا انه كان يبسط لسانه في العلماء - توفي سنة ٤٦٨

(ابن برهان)

عبد الواحد بن على بن عمر بن اسحاق بن ابراهيم أبو القاسم بن برهان النحوي الاسدى العكبرى صاحب العربية والنحو والتاريخ وأيام العرب قرأ على عبد السلام

البصري وأبي الحسن التميمي كان فيه شراسة على من يقرأ عليه وكان الطلبة يمشون حوله يمينا وشمالا وهو يلقي عليهم المسائل وتكبر على أولاد الرؤساء وكان يتعصب لمذهب أبي حنيفة وكان يحب الباذنجان ويقول في تفضيله الناس يأكلونه ثمانية أشهر في العام وهم أصحاب ولو أكلوا الرمان أربعة أشهر فلعجوا . قرأت بخط الشيخ شهاب الدين الحسيني انه كان على امامته ودياته يحب مشاهدة المليح ويقبل أولاد الامراء والاتراك وأرباب النعم بمحضر من آباءهم ولا ينكرون عليه ذلك لعلمهم بدينه وورعه - توفي سنة ٤٤٦ قال ولم يكن يلبس سراويل ولا على رأسه غطا.

(الحريري)

صاحب المقامات القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد البصري الحرامي الحريري أحد الأئمة في النظم والنثر وعمل بعد الحريري مقامات كثيرة. مقامات ابن الصقيل. مقامات أبي العباس يحيى النصراني المعروفة بالمسيحية . مقامات أبي الهيجاء شهنيروز . شرح المقامات ابن ظفر شرحين كبير وصغير والمطرزي والشريشي وغير واحد قيل وكانت مسوداتها نحو حمل حمل سمع الحريري من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقرئ وأبي القاسم بن الفضل المقصافي الأديب وقرأ النحو على أبي الحسن بن فضال الجاشعي شيخ امام الحرمين في العربية وتفقه على الشيخ أبي اسحاق الشيرازي. كان الحريري غنياً له ثمانية عشر الف نخلة كل نخلة في سنة بدينار وقيل انه كان قدراً في نفسه وشكله ولبسه قصيراً ذمياً بجيلاً مولماً بنتف ذقنه وحكي بعض اهل الادب ان الحريري لما قدم بغداد وكان الناس يهتفون بفضائله ويتطلعون الي لقائه فحضر اليه ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر فلم يجده على ما كان في ظنه فنظم أبياتاً

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عشونه من الهوس

أنطقه الله بالمشان وقد الجمه في العراق بالخرم

وقيل ان الحريري حضر مجلساً فذكروا فيه قول بعض الادباء ان لم يكن لنا طمع في درك درك فاعفنا من شرك شرك استحسنها الحاضرون فعمل الحريري في الحال

ان لم تدنا من مبارك مبارك فأعدنا عن معارك معارك وبلغه ان صاحباً له يسمى أبا زيد المطهر بن سلام البصري الذي عمل المقامات على لسانه شرب مسكراً فكتب اليه ابا زيد اعلم ان من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولي المهذب ومن قبل سميت المطهر والفتى يصدق بالافعال تسمية الاب فلا تحسبها كي ماتكون مطهراً والافغير ذلك الاسم واشرب

ابو العباس

احمد بن الحسين النحوى الموصلى المعروف بابن الخباز كان من علماء النحو وفرسانه اديباً لطيف الروح عذب العبارة حسن النظر كثير الاطلاع والحفظ قال ابن هشام مصنف المغنى فيما وجدته بخطه وكأنه كان غير منصف من اهل زمانه وقد وقفت له على عدة تأليف يشكو فيها حاله فمن ذلك قوله في خطبة كتابه الذى سماه الفريدة فى شرح القصيدة وهى قصيدة ابي عثمان سعيد بن المناس الشهير بابن الدهان فان اصبحت فمن فضل الله الرحيم وان اخطأت فمن الشيطان الرجيم ومن علم حقيقة حالى عذرني اذا قصرت بان عندي من الهموم ما يزع الجنان عن حفظه ويكف اللسان عن لفظه ولو ان ما بي بالجبال لهدها وبالنار اطفأها وبالماء لم يجر وبالناس لم يمحوا وبالدهر لم يكن وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يسر وانا اسأل الله العظيم ان يكفيني شر شكواي وان لا يزيدني على بلواي فاني كلما اردت خفض العيش صار مرفوعاً وعاد بالحزن سبب المسرة مقطوعاً والله المستعان في كل حال ومنه المبدأ واليه المآل نقلت ذلك كله من خط العلامة جمال الدين بن هشام مصنف المغنى وقال المصنف رحمه الله نقلت من خط الشيخ نور الدين الايبارى الصعاليك من العرب عروة بن الورد العبسى وتأبط شرا الفهمى والشنفرى الازدي أزد سنوءة وعمرو بن معدى كرب الزبيدي والاسعر بن مالك الاودى وعمرو بن براق الهمداني وشراحيل بن الاشهب الجعفي وابو خراش الهذلى وعمرو ذوالكلب الهذلى ونقلت من خطه ايضاً قال الذهبي كان في الاشعر دعابة ومزح كثير وكان يقنع باليسير وكان له بعض قرية من وقف جدتهم الامير جلال بن أبي بردة ويقال انه بقي الى سنة ٣٣٠

الفصل الحادى عشر

فى مباحث تتعلق بالفصل قبله ومن المباحث النكبات الحاصلة للاعيان لا يحملنك قلة من عددنا فى الفصل قبله من العلماء الذين تقلصت عنهم الدنيا على توهم انبساط الدنيا على غالب العلماء أو معظمهم واعتقاد تمتعهم بها فان لانهصارهم فى العدد المذكور فى الفصل قبله أسباباً منها انالم نذكر من العلماء الا من زويت عنه الدنيا ولم يترجم بزهد وشدة تقشف وردّ للدنيا واعراض عنها وسقط بذلك طائفة كثيرة مثل الشيخ

(محيى الدين النواوى)

محيى بن شرف بن مري مع انه كان لا يأكل الا اكلة بعد عشاء الاخيرة ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب الماء المبرد ولا يأكل من فاكهة دمشق معللاً ذلك بان الاوقاف والاملاك للمحاجير فيها كثيرة والتصرف لهم لا يجوز الا على وجه الغبطة والمعاملة فيها على وجه المساواة وفيها خلاف والناس لا يفعلونها الا على جزء من الف جزء للمالك وكان لا يدخل الحمام ولم يتزوج ولم يشرب الفقاع وما كاه كلك يابس وتين حوران ياتيه به ابوه وملبسه الثياب المرقعة توفى سنة ٦٧٦

ومثل السهروردي

صاحب عوارف المعارف امام وقته لسانا وحالا وعلماً وعملاً مع انه عمى فى آخر عمره واقعد ومات ولم يخلف كفنأ - توفى سنة ٦٣٢

والحسن بن العباس الرسخى

الاصفهانى مع انه كان يسمع عليه الحديث وهو فى رثائة من الملبس والمفرش بحيث لا يساوى طائلاً كما ذكره ابن كثير فى طبقاته - توفى سنة ٥٦١

ومثل ابراهيم بن اسحاق

ابن بشير ابو اسحاق الخوى احد الأئمة فى الفقه والحديث وغير ذلك امام مصنف عالم يقاس بالامام احمد شيخ الدارقطنى كان يقول الرجل الذى يدخل غمه على نفسه

ولا يدخله على عياله وقد كان بي شقيقة منذ خمس واربعين سنة ما اخبرت بها احدا قط ولي عشر سنين ابصر بفرد عين . ما اخبرت به احداً أنفق على نفسه وعياله في بعض الرضانات درهما واربعة دوانيق ونصفا وبعث اليه المعتضد بعشرة آلاف درهم فابى ان يقبلها فرجع الرسول يقول له قال لك امير المؤمنين فرقا على جيرانك فقال هذا شئ لا نجمعه ولا نفرقه اما أن يتركنا واما أن تتحول من بلده - توفي لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٤ وكغيرهم من العلماء والاولياء

ومنها انا لم نذكر أيضاً من لم ينص على فقره صريحاً او بلازم واضح وكثيراً ما يقول المترجمون كان متقللاً و يقتصرون عليه فلا أذكره مع الظن بانه من المستحقين للذكر في الفصل قبله فمن ذلك (ابن الانباري) عبد الرحمن بن محمد بن الانباري صاحب أسرار العربية والمصنفات التي تزيد على مائة تصنيف فانهم قالوا في ترجمته انقطع للعبادة والعلم صابراً على خشن العيش والتقلل منه - توفي سنة ٣٧٧ - ومنه (عزيزي بن عبد الملك الشافعي المعروف بشيدله) صاحب مصارع العشاق فانهم قالوا في ترجمته كان زاهداً متقللاً من الدنيا - توفي سنة ٤٩٤ - ومنه (المبارك) بن محمد ابن عبد الله السوادى الواسطى نزيل نيسابور أحد اركان الفقهاء المكثرين المحافظين للمذهب القوي المناظرة قالوا في ترجمته كان متجملاً قانماً باليسير ومع ذلك ما ذكرته وغيرهم ممن لم يتضح لي فقره الا بلازم ضعيف أو عبارة مجمجة وسقط بذلك طائفة كبيرة - ومنها انا لم نذكر كل من شد أطرافاً من العلم كيف ما كان وقعدت عنه الدنيا بل انما ذكرنا الاعيان وسقط لذلك طائفة كبيرة - ومنها اني لم أذكر الا من صرح بفقره او بلازم فقره الجلى أما من لم يصرح بفقره ولا بغناه ولا يسند اليه تولية منصب ولا تدريس بل ترجموه بالعلم وسيبوه فلم أذكره وفيه بحث لانه لا يلزم من عدم ذكر الفقر عدم الفقر ولا يقال هو معارض بمثله لانه لا يلزم من عدم ذكر الغنى عدم الغنى لانا نقول لكن الترجيح معنا لما ان المؤرخين بصدد ذكر كمالات المترجم حتى انهم يذكرون تداريس لا يعباؤها في بعض التراجم فلو كان لذكر لتوفر الداعية على نقله فلما لم يذكر علم انه لم يقع وسقط بذلك طائفة كثيرة مثل (ابن الحاجب) ابى

عمرو عثمان المالكي المتوفي سنة ٦٤٦ ومثل (ابن عصفور) على بن مؤمن بن محمد
العلامة الاشبيلي المتوفي سنة ٦٦٤ ومثل ابي محمد عبدالله (ابن الحشاب) وغيرهم من العلماء
الائمة ومثل (الزمخشري) ومن نظمه

خليلي هل تجدى على فضائي
من الغبن ذو نقص ينال منازل
كفى حزناً ان يرغم العلم والحجا
ومن لي بحق بعد ما وقرت على
كذا الدهر كم شوها في الحلبي جيدها
ومما شجاني ان غر مناقبي
وطارت الى اقصى البلاد قصائدي
وكم من امال لي وكم من مصنف
غنى من الآداب لكنني اذا
فيا ليتني اصبحت مستغنياً ولم
ويا ليتني مرض صديقي ومسخط
فلست بفضلي بالغاً ولو انني
وما حق مثلي ان يكون مضيقاً
فلا تجعلوني مثل همزة واصل
فكل امرئ امثاله عدد الحصا
فوقع الى هذا الزمان فانه

اذا انا لم ارفع على كل جاهل
اخو الفضل محقوق بتلك المنازل
بضد زياد طيشه غير عاقل
ارادها الدنيا حقوق الامائل
وكم جيد حسناء المقلد عاطل
يعنى بها الركبان بين القوافل
وسارت مسير النيرات رسائي
اصاب بها ذهني محز المفاصل
نظرت فما في الكف غير الانامل
اكن في خوارزم رئيس الافاضل
عدوي واني في فهاة باقل
كقس اباد او كسحبان وائل
وقد عظمت عند الوزير وسائي
فيسقطني حذف ولا راء واصل
وهات نظيري في جميع المحافل
غلامك يجعلني كبعض الاراذل

(ومنها) انا لم نذكر من ترجم بققر ثم بغنى زائد تغليباً لجانب الغنى المتأخر وسقط
بذلك ايضاً طائفة (ومنها) ان الكتب والزمان لم يساعدا على استيفاء هذا المقام
واعطائه حقه فلعل ما لم نره اكثر مما وقفنا عليه (ومنها) انا لم نذكر الا ما وقفنا عليه في
كتاب معتمد وضع للتراجم اما الكتب الادبية ففيها اشياء كثيرة لم اذكرها (منها)
ما في العقد لابن عبد ربه وشرح الزيدونية لابن نباتة ان ابا الاسود الدؤلي النحوي

وسهل بن هارون الملقب بزر جهر الاسلام والكندي الامام في العلوم العقلية الملقب
بفيلسوف العرب كانوا في غاية البخل وفي عدم ذكر ابي الاسود الدولي معني آخر
هو جلالة وصيائه عن نسبة البخل اليه (ومنها) اني لم اذكر في الفصل قبله في النكبات
العارضة للاعيان فقلما خلا عالم او نبيل من نكبة وانا اذكر هنا طرفاً لا ثقاً بمقصودي من
ذوي النكبات

« مالك بن انس »

ابن ابي عامر بن الحرث بن غيمان بالغين المعجمة ابو عبد الله الامام المدني احد
أئمة الاسلام سعى به الى جعفر بن سليمان بن علي بن عم ابي جعفر المنصور فدحا به
وجردده وضربه سبعين سوطاً ومدت يدها حتى الخلع كتفاه وسبب ضربه انهم سألوه
عن مبايعة محمد بن عبد الله بن حسن وقالوا له ان في اعناقنا مبايعة ابي جعفر فقال انما
بايعتم مكرهين وليس علي مكره يمين فأسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذلك ثم
لم يزل بعده في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حايا تحلى بها -- توفي سنة ١٧٤

أبو حنيفة

النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي احد الائمة المتبوعين كان يزيد بن عمر بن هبيرة
الفزاري أمير العراقيين فأراد له قضاء الكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية
فأبى فضربه مائة سوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة أسواط وبقي على الامتناع
وسجنه فتوفي بالسجن في احد القولين سنة ١٥٠ ببغداد

الامام احمد بن حنبل

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي استحوذ على
المأمون جماعة من المعتزلة وقولوه بخلق القرآن فعن له بطرسوس ان يكتب الى نائب
بغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن
فكان ذلك اول الفتنة وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهر سنة ٢١٨ فلما
وصل الكتاب استدعي جماعة من العلماء فامتنعوا فهددهم بالضرب وقطع الارزاق

فاجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع احمد بن حنبل ومحمد بن نوح
الحيدسابوري فحملا على بعير متعادلين مقيدين الى الخليفة عن امره بذلك ثم جاء
الصريح بموت المأمون في الثلث الاخير ثم جاء الخبر بان المعتصم قد ولي الخلافة وان
الامر شديد فرد الى بغداد في سفينة مع بعض الاسارى ومات محمد بن نوح في
الطريق وأودع الامام احمد السجن ببغداد نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ثم احضره
المعتصم في قيوده واجلسه فجلس ودعا الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال فما قال ذلك ابن
عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وأنا اشهد ان لا اله
الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر اعطوني شيئاً من
كتاب الله او سنة رسوله حتى أقول به وناظره احمد بن ابي داود وغيره وانكروا
الاثار التي أوردها وقالوا للمعتصم هذا كفرك واكفرنا وقال له اسحاق بن ابراهيم
نائب بغداد يا امير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلى سيده ويغلب خليفته
فعند ذلك حمى واشتد غضبه فأخذ وجيء بالمقايين والسياط وضر به ضرباً مبرحاً شديداً
حتى أغمى عليه وغاب عقله وامر باطلاقه الى اهله فقتل وهو لا يشعر ولما شفي من الضرب
بقي مدة وابهاماه يؤذيها البرد وكان الضرب في الخامس والعشرين من رمضان سنة
٢٢١ وتوفي سنة ٢٤١

البويطي

يوسف بن يحيى البويطي صاحب الامام الشافعي كان الشافعي يسئل عن الشيء
فيحيل عليه فاذا اجاب قال هو كما اجاب وقال عنه الشافعي هولسائي حمل الى بغداد
في ايام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غل وفي رجله قيد وبين الغل والقيد سلسلة
حديد فيها طوق وزنتها اربعون رطلا وارادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات
بالسجن في قيوده سنة ٢٣١

البخاري

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل أراد منه خالد بن احمد الذهلي ان يأتيه في بيته

يسمع اولاده فأبى وقال « في بيته يؤتى الحكم » فاتفق ان جاءه كتاب من محمد بن يحيى
الذهلي من نيسابور بأن البخاري يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق وكان قد وقع بين محمد
ابن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصف البخاري في ذلك كتابه خلق
افعال العباد فأراد الأمير ان يصرف الناس عن السماع من البخاري فلم يقبلوا فأمر عند
ذلك بنفيه من البلاد فخرج منها ودعا على خالد بن احمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن
ظاهر بأن ينادى على خالد بن احمد على اتان وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات
فبرح البخاري الى بلد يقال لها خزنتك - مات سنة ٣٥٦ نقلته بلفظه من تاريخ
ابن كثير

« النسائي »

احمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن امام عصره والمقدم على اضرا به
رحل الآفاق وأخذ عن الحذاق وكان ينسب الى شئ من التشيع قالوا دخل دمشق
فسأله أهلها ان يحدتهم بشئ من فضائل معاوية فقال ما يكفي معاوية ان يذهب رأساً
برأس حتى يروى له فضائل فجعلوا يطعنون فيه حتى اخرج من الجامع فسار الى مكة
فمر بالرملة فسئل عن فضائل معاوية فامسك عنه فضربه في الجامع فقال اخرجوني الى
مكة فأخرجوه وهو عليل - فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً سنة ٣٠٣

« ابو عمرو »

عيسى الثقفي النحوي شيخ سيبويه صاحب كتاب الجامع الذي قيل ان سيبويه
اخذه وزاد عليه ، استفاده من الخليل ونسبه اليه اودعه شخص وديعة فمضى الخبر الى
يوسف بن عمر امير العراقيين فيكتب الى نائبه بالبصرة يأمره ان يحمل اليه عيسى بن
عمرو مقيداً فدعا به ودعا حدادا وامرد بتقييده فلما قيده قال له لا بأس عليك انما ارادك
لتعليم ولده قال فما بال القيد اذاً فلما وصل اليه سأله فأنكر فأمر بضربه بالسياط
توفي سنة ١٤٩ كان كثير الاستعمال للغريب والتعريف في كلامه وهو القائل افرتقوا عني
قال يوماً لابي عمرو بن العلاء انا افصح من معد بن عدنان فاستنشدته ابو عمرو يتأفئيه

بدا بمعنى ظهر وقال له كيف تسنده الى جماعة الاناث اتقول بدين او بدان فقال بدين
فقال اخطأت ولو قال بدان لا خطأ ايضا وانما أراد ابو عمرو تغليطه وانما الصواب بدون
من بدا يبدو اذا ظهر وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر ذكرت هذا استطرادا
لاشتماله على فائدة

محمد بن الزيات

ابو جعفر بن عبد الملك وزير المعتصم ثم ابنه هارون الواثق ثم لما مات الواثق
أشار هو بتولية ولده وأشار القاضي احمد بتولية اخيه المتوكل وتم امر المتوكل فحقد
ذلك عليه وضموا الى حقه عليه القديم لانه كان يغاز عليه في حياة الواثق تقرّباً
اليه وكان ابن الزيات قد صنع تنوراً من حديد في ايام وزارته وله من امير محمّدة
الى داخله يذب فيه الناس وكان يقول اذا استرحم الرحمة خور في الطبيعة فلما اعتقله
المتوكل ادخله التنور وقبده بخمسة عشر رطلا من الحديد ومات في التنور فوجد قد
كتب في التنور بفحمة

من له عهد بنو ريرشد الصب اليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت عليه
رحم الله رحيا دات عيني عليه

- توفي سنة ٣٣٣

ابن الدهان

ناصر الدين ابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان النحوي البغدادي شارح كتاب
الابضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جنى وكان يفضل على ابى محمد الجواليقي وابن
الحشاب وابن الشجرى المعاصرين له انتقل الى الموصل قاصدا جناب الوزير جمال
الدين الاصفهاني المعروف بالجواد وكانت كتبه ببغداد واستولي الغرق في تلك السنة
على البلد ففرقت كتبه وكان خلف داره مدبغة ففاضت بالغرق الي يته فلقت كتبه
بهذا السبب زيادة على تلف الغرق فارسل من احضرها له وكان قد افنى عمره فيها

فاشاروا عليه ان يطيبها بالبخور ويصلح ما امكنه فيها فبخرها باللاذن ولازمها بالبخور الى ان بخرها باكثر من ثلاثين رطلا لاذنًا فطلع ذلك الى راسه وعينه فحدث له العمى - توفي سنة ٥٦٩

ابن عطاء

ابو العباس احمد بن محمد بن عطاء احد ائمة الصوفية حدث عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرهما كانت له ختمة يتلوها ١٧ سنة يتدبرها مات ولم يكملها احضر في امر الحلاج وقد كتب الحلاج اعتقاده فسأله الوزير حامد بن العباس عما قاله الحلاج فقال من لا يقول بهذا فهو بلا اعتقاد فقال له الوزير ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد فقال مالك ولهذا عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظلمهم مالك والكلام مع هؤلاء السادة فامر الوزير بضرب شذقيه ونزع خفيه وان يضرب بهما راسه فما زال يفعل به كذلك حتى شال الدم من منخريه وامر بسجنه فقيل له ايها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل الى منزله قال ابن عطاء اللهم اقتله اخبث قتلة واقطع يديه ورجليه فمات ابن عطاء بعد سبعة ايام سنة ٣٠٩ وقاتل الحلاج قبله بعد ان ضرب نحوها من الف سوط وقطعت يداه ورجلاه ثم احرقت جثته بالنار ونصبت يداه ورجلاه ورأسه أياماً على الجسر وكان ذلك لست بقين من ذى الحجة سنة ٣٠٩ ثم مات الوزير مثل ما دعا عليه ابن عطاء مقطوع اليدين والرجلين مقتولا

« ابن شنبود »

المقري محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت ابو الحسين المقري المعروف بابن شنبود روى عن ابي مسلم وبشر بن موسى وخلف وكان يختار حروفاً انكرها أهل زمانه عليه وصنف ابو بكر بن الانباري محمد بن القاسم الحافظ الذي كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة كتاباً في الرد عليه كان ابو بكر المذكور من اعلم الناس بالنحو والادب وكان لا يأكل الا البقالى ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه عقده لابن شنبود مجلس في دار الوزير ابي على محمد بن مقلة وادعي عليه بالحروف التي كان يقرؤها

فأقر بالبعض فضر به الوزير ابو على بالدرة على رأسه واستناب فدعا على ابن مقلة فلم
يفلح بعد ذلك - وتوفي سنة ٣٢٨

« ابن مقلة »

الوزير أحد المشاهير الكتاب محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله ابو على المعروف
بابن مقلة الوزير كان له بستان كبير جداً وعليه جميعه شبكة من ابريسم وفيه من الطيور
والقمارى والمزار والطواويس شئ كثير وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام
والأيل شئ كثير ايضاً وولى الوزارة لثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضى وبني له
داراً فجمع عند بنائها خلق كثير من المنجمين فاتفقوا على ان تبني فى الوقت الفلانى
فأسس جدرانها بين العشاءين كما اشاروا فما لبث بعد استتمامها الا يسيراً وقد انشد فيه
بعض الشعراء

قل لابن مقلة لا تكن عجلاً واصبر فانك فى أضغاث احلام
تبني بانقاض دور الناس مجتهداً داراً ستنقض ايضاً بعد ايام
ما زلت تختار سعداً تطلبن لها فلم يوف بها من نحس بهرام
ان القران وبطليموس ما اجتماعاً فى حال نقض ولا فى حال ابرام

ثم عزل عن وزارته واحرقت داره وانقلعت اشجاره وقطعت يده ثم قطع لسانه
واغرم الف الف دينار ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة وكان يستقى الماء
بنفسه من بير عميق يدلى الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه وقاسى جهداً جهيدا حتى
مات فى الحبس سنة ٣٢٨ ومن نظمه وهو يبكي على يده

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب
والنكبات كثيرة لا تحصى وفيما ذكرناه مقنع فان الكتاب كله أنموذج ومسودة فى باب
والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الثاني عشر فى اشعار المفلوكين ﴾

(ومن فى معانهم من مقاصد شتى وبيان ان الحامل عليها انما هو الفلاكة)

اعلم ان الفلاكة اذا استولت على شخص وسلبته القدرة على الافعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالاقوال وذلك لما ان في الكلام راحة وفرجاً وتقيصاً من ألم الباطن ولذلك قلما يطيق كتمان الاسرار الا الواحد الفذ وكذلك ايضاً قلما يطيق الانسان استدامة اقوال تخالف ما في باطنه بل لا بد له من فلتات مطابقة لما في باطنه لما ان النفس بطبعها تطمح الى طلب الراحة والاستلذاذ بحسب المقدور واذا اتضح ان في الاقوال تنفساً وراحة ولذة وتقيصاً من آلام الباطن وضحت الحكمة في انتصاب المفلوكين خطباء وشعراء وحكماء فمرة يسلون انفسهم بترجيح الكلمات النفسانية على الكلمات المالية بالادلة الخطائية والتشبيهات الشعرية ومرة يذكرون عوارضهم اللازمة بمقتضى الفلاكة ويصوغون عنها اعداراً وحكمة وتشبيهات راقية وكلمات فائقة تقيصاً من قبح صورتها ويشغلوا الناس بما أوردوه فيها من محاسن الكلام عن الفكرة في صورتها الشنيعة - ومرة يسابقون الى ذكر تقائصهم ويجعلونها رقة أدبية أو نكتة شعرية أو كلمة هزلية قبل ان يذكرها غيرهم عنهم ليصرفوا الناس عن الاشتغال بها لان النفوس تكره المعاد ولذلك قيل في الامثال أقبح من معاد وليكون ذلك اخف على نفوسهم لما ان الشخص لا يتأنف من نفسه ما يتأنف من غيره ولا يثقل عليه كلامه ككلام غيره -
حكي ان الاخفش الصغير كان يحفظ الاهاجي التي هجاه بها ابن الرومي ويوردها في جملة ما يورده والحكمة فيه ما ذكرته لا ما ذكره ابن خلكان في تاريخه من انه كان يقول انوه بذكرى بها فان ذلك ان قاله الاخفش فقله غطاء على المعنى الحقيقي ولذلك أيضاً يذكرون الاسفار ويفرون بها مرة وينهون عنها اخري فالاغراء لما قدمته في الفصل الرابع والنهي يكون حيرة ودهشاً ولذلك ايضاً يفرون بتطلب المجد والثروة تارة ويأمرون بالقناعة اخري قلقاً واضطراباً ويذمون الايام ويتضجرون ويتمللون ويستعقبون ويشعرون وهم لا يشعرون ويتفتنون وهم يفتنون ويحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم الخاسرون ويتلطفون وهم يستثقلون ويتعذرون ولكن لا يعذرون أم تسألهم خرجا فهم من مغرم مثقلون فانا لله وانا اليه راجعون والاعنياء عن ذلك كله بمعزل

وعن العناء فيه بألف منزل قد أغنهم الفعل عن القول والفضل عن الفضول والاعذار
عن الاعتذار والاحسان عن صوغ اللسان وأنا أورد ان شاء الله تعالى أحسن ما يحضرنى
من أشعار المفلوكين ومن فى معنهم فى هذه المقاصد كلها وانما قلت أو من فى معنهم
دفعاً لسؤال مقدر توجيه ان المذكور فى هذا الفصل من الشعر منه ما هو من كلام
الامائل والعظماء والنبلاء فالجواب انه وان صدر عن عظيم او نبيل فانما ذكر بلسان
المفلوكين وشرحا لحالم ونيابة عنهم ورحمة عليهم او عند عارض فلا كة حقيقية عرضت
لوجيه العظيم صيرته فى حكم المفلوك بحسب تلك الحالة او عند عارض فلا كة حالية
بحكم الوارد على القلة فان الوارد كما هو مقرر فى كتب الصوفية اذا ورد على القلب
وشايعته النفس بالاستحسان والاستحلاء ولم يمانعه اكسب حالا واذا علمت الاحوال
المقتضية للاشعار الآتية والحامل عليها فما كها غير ناس ولا غافل عما قررتة فى مقدمة
الفصل العاشر فانه محتاج اليها فى هذا الفصل فمن ذلك قول القائل

الى الله اشكو جور دنياكم التى تغر الفتى حتى يوارى برمسه
فكسبه ان اقبلت حسن غيره وتسلبه ان ادبرت حسن نفسه

ومنه

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
اي شىء أعز عندي من العا م فما ابتغى سواه انيسا
انما الذل فى مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

ومنه

تلحى على البخل الشحيح بماله افلا تكون بماء وجهك أنجلا
أكرم يديك عن السؤال فانما قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد اضم الى فضل قناعتي وأبيت مشتملا بها متزمتلا
وأرى المدو على الخصاصة شارة تصف الغنى فيخالنى متمولا
واذا امرؤ افنى الليالى حيرة وامانياً افينتهن توكللا

ومنه

عجبت معاد من ارتياحي للعلا في العدم وهو يفلّ غرب الجامح
لا يفشني الاقمار عاراً اني رحب الذراع بكل خطب فادح
ولربما نهض المقل بعينه وجبا به المثرون حبو الرازح
مثل السماكين اتفاعك منهما بالاعزل المدحوض فوق الرامح
ولئن خفيت عن الوري وفضائلي كمد الحسود ونار غيظ الكاشح
فانار في اشجارها مخبوءة حتى يتاح لها يمين القادح

ومنه

أهوى الخمول لكي أظل مرّتهاً مما يعاينه بنو الازمان
ان الرياح اذا عصفت لواقحا تولى الاذية شاخ الاغصان

ومنه

المرء يحظى ثم يعلو ذكره حتى يزين بالذي لم يفعل
وترى الشقي اذا تكامل عيبه يرمي ويبخل بالذي لم يعمل

ومنه

شغلنا بكسب العلم عن مكسب الغني كما شغلوا عن مكسب العلم بالوفر
وصار لهم حظ من الجهل والغنى وصار لنا حظ من العلم والفقر

ومنه

لا تحقرن أديباً راق روثقه عن الفصاحة اما راح في شمل
فالسكر العسلي الحلو من قصب والدرجس البابلي الغض من بصل

ومنه

ينجد بي تارة ويتهم بي ضر زمان بأهله جاني
حتى كأني قذاة مقلته أو خبث فوق كاسه طاني

ومنه

وقالوا توصل بالخضوع الى الغني
وبيني وبين المال شتان حرّما
وما علموا ان الخضوع هو الفقر
على الغنى نفسى الأبية والدهر
اذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه
مواقف خير من وقوفي بها العسر

ومنه

ولا تعدّن رزقا ما ظفرت به
الا اذا دار بين الحلق والحنك

ومنه

لا يؤيسنك من مجد تباعده
ان القناة التي أبصرت رفعتها
فان للمجد تدريجا وترتيا
تنمو وتحدث أنوباً فأنبو با

ومنه

والحر من حذر الهوا
والعاجز المأیوف أو
ن يحاذر الامر الجسما
مد ما يكون اذا أقيا

ومنه

المراء يجمع والزمان يفرق
ولئن يعادى عاقلا خير له
وان امرؤ لسعته أفعي مرة
لا ألفينك ثاویاً في غربة
ما الناس الا عاملان فعامل
والناس في طلب المعاش وانما
لو يرزقون على وزان عقولهم
لو سار الف مدجج في حاجة
ويظل يرقع والخطوب تمزق
من أن يكون له صديق أحق
تركته حين يجر جبل يفرق
ان الغريب بكل نبل يرشق
قد مات من عطش وآخر يغرق
بالجد يرزق منهم من يرزق
الفيت اكثر من تري يتصدق
لم يقضها الا الذي يترفق

هذه الايات لصالح بن عبد القدوس وقوله يتصدق هو ببناء الجهول حتى يصح

المعنى المراد وهو ان الغالب على الناس قلة العقل والخفة وأصله يتصدق عليه فحذف
عليه ولو قرئ ببناء المعلوم لا نعكس المعنى وكان معناه ان العقلاء هم الاكثر وليس
بصحيح لا دراية ولا رواية وهذا الرجل اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله اليه فلما خاطبه
اعجب بغزارة علمه وأدبه وحسن ثباته فأمر باطلاقه فلما ولي رده وقال ألسنت القائل
والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد الى نكسه

فقال بلى وانت لا تترك اخلاقك فأمر به فقتل سنة ١٦٧ فانظر الى الفلاكة قال
حكمة فكانت سبباً في قتله ومثله قول عمارة اليمني الملقب بنجم الدين الشاعر
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الوري لحماً على وضم
وكان اول هذا الدين من رجل سعي الى ان دعوه سيد الامم
أراد اظهار معنى بديع مبتكر فكان سبباً في قتله في أحد الاقوال في سنة ٥٦٩ -
وكنت هممت ان اضع فصلاً في الكلمات التي كانت سبباً للحوق ضرر عظيم لاصحابها
كهايتين الحكايتين واسميتها بالفلاكة اللفظية لتكون الفلاكة ثلاثة أنواع مالية ومعنوية
ولفظية ثم بدا لي في ذلك وخشيت ان يصير الكتاب ادبياً لا علمياً ولنرجع الى مقصود
الفصل ومنه

ليس الخمول بعار على امري ذى جلال
فيلة القدر تخفى وتلك خير الليالى

ومنه

يا هذه ان رحمت في شمل فما في ذاك عار
هذى المدام هي الحيا ة قميصها خرق وقار

ومنه

وليس قبج المكان مما يزرى به منصبى ودينى
فالشمس علوية ومع ذا تغرب في حماة وطنى

ومنه

احتل لحقدك فالليد ب بلطفه يستل ثاره
امضى الحديد أرقه والماء يثقب في الحجاره
واهجو بيت منه لا يطفى طويل المدح ناره
يخفى الكثير من الحلا وة في القليل من المراره

ومنه

ولاغرو أن يبلى الشريف بناقص فمن ذنب التين تنكسف الشمس

ومنه

واني واعدادي لدهري محمدا كملتس اطفاء نار بنافخ

ومنه

فان تكن الدنيا أنالك ثروة فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثراء عنك خلاثقا من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ومنه

حياتي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أنى سمحت ببذل وجهي لكنت الى الغني سهل طريقي

ومنه

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها فكيف ما اتقلبت يوماً به اتقلبوا
يعظمون أخوا الدنيا فان وثبت عليه يوماً بما لا يشتهي وثبوا

ومنه

قالت وقد انتضت سيوف الاحظ والدر ممازح لذاك اللفظ
ذا حظك ما انتقصك قلت لها لو شئت لما كنت قليل الحظ

ومنه

من منصفني من معشر كثروا علي وكبروا

صادقتهم وأرى الخرو ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل في الطرو س ومحوه يتعذر
ومتي أردت كشطته لكن ذاك يؤثر

ومنه

إذافات الفتى شيثان أضحي بعيداً من ممازجة القلوب
جمال الوجه او مال عظيم يزين في حضور او مغيب
فكثر المال يشفع في المئاوى وحسن الوجه يشفع في الذنوب

ومنه

ان الغني الذي ترضى معيسته لا من يظل على مافات مكتئباً
لا تحقرن من الأيام محتقراً كل امرئ سوف يجزى بالذي كسباً
قد يحقر المرء ما يهوى فيتركه حتى يكون الي توريطه سبباً
ان العدو وان ابدى مكاشرة اذا رأى منك يوماً فرصة وثباً
اذا وترت امرأ فاحذر مغبته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

ومنه

أتعبت نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة و بين حرص مؤهل
ونثرت دهرك لا خلاعة ماجن حصلت فيه ولا وقار مبجل
وأضعت حظ النفس في الدنيا وفي ال اخرى ورحت عن الجميع بمعزل

ومنه

اهل المناصب في الدنيا ورفعتها اهل الفضائل محقورون بينهم
قد انزلونا لأننا غير جنسهم منازل الوحش في الالهال عندهم
فليتنا لو قدرنا ان نعرفهم مقدارهم عندنا اولو دروهم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومنه

إذا كان غير الله في عدة الفتى أنه الرزايا من وجوه الفوائد

ومنه

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يبني عليه اجتهاده

ومنه

إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها
ومن يطلب الغالي من العيش لم يزل حزيناً على الدنيا رهين غبونها

ومنه

أني رأيت الدهر في حكمه يمنح حظ العاقل الجاهلاً
وما أراني نائلاً ثروة كأنه يحسبني عاقلاً

ومنه

إذا وجد الشيخ من نفسه نشاطاً فذلك موت خفي
أست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفئ

ومنه

انفض يديك من الأنام فكلامهم شعاً يحل وانت عجزاً تعقد

ومنه

انفض يديك من الزمان وخيره واحذر بنيه تفز بقلة ضيره
ولقد صفوت فما وجدت مصافياً في الله أصحابه ولا في غيره

ومنه

وأخ لي تكدرت بعد صفو مشاربه
صاحب حين لا يرى في الوري من يصاحبه
وإذا ما حظي به صدّ وأزورّ جانبه

ومنه

إذا لم يكن صدر المجلس سيداً فلا خير فيمن صدرته المجلس
وكم قاتل مالي رأيتك راجلاً فقلت له من أجل أنك فارس

ومنه

وأخ ان رام مني حاجة كان بالانجاح مني واثقا
وإذا ما رمت منه حاجة كان بالرد بصيراً حاذقا
يعمل الحيلة في الرد لها قبل ان افرغ منها ناطقا

ومنه

إذا ما مدحت الباخلين فانما تذكرهم ما في سواهم من الفضل
وتهدى لهم غمماً كثيراً وحسرة فان منعوا منك النوال فبالعدل

ومنه

وإذا المسافر آب مثلي مفلساً صفر اليمين من الذي رجاه
وخلأ من الشيء الذي يهديه لا إخوان عند لقاءهم إياه
لم يفرحوا بقدمه وتثقلوا بوروده وتكرهوا لقياءه
وإذا أتاهم قادمأً بهدية كان السرور بقدر ما أهده

ومنه

لو كنت أجهل ما علمت لسرني جهلي كما قد ساءني ما أعلم
فالصعو يرتع في الرياض وانما حبس الهزار لأنه يتكلم

ومنه

ان قدّم الصاحب ذا ثروة وعاق ذا فقر وافلاس
فالله لم يدع الي بيته الا المياسير من الناس

ومنه

لا يدرك المجد من لا يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا

ومن أراد العـلا صفواً بلا كدر قضي ولم يقض من ادراكه وطرا
وأحزم الناس من لومات من ظمأ لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

ومنه

وقائلة ما بال مثلك خاملا أنت ضعيف الرأي ام انت عاجز
قتلت لها ذنبي الى القوم اني لمالم يحـوزوه من المجد حائز
وما فأننى شىء سوى الحظ وحده واما المعالى فهى عندي غرائز

ومنه

من اخمل النفس احيائها وروحها ولم بت طاوياً فيها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالى من الشجر

ومنه

ألا موت يباع فأشتره فهذا العيش مالا خير فيه
ألا موت لذيد الطعم يأتي يخلصني من الموت الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو أننى فيما يليه

ومنه

ولو انى استزدتك فوق ما بى من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتى حياة بعيش مثل عيشى لم يريدوا

ومنه

قالوا أمت وما رزقت وانما بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فأجبتهم ما كل سير نافعاً الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سفرة نفعت واخرى مثلها ضرت ويكتدح الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره وبه اذا حرم السعادة يحق

ومنه

سافر اذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا

والماء يكسب ما جرى طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقالة الدرر النفيد سة بدلت بالبحر نحرا

ومنه

قوض ركابك عن ارض تهان بها وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة فالمدل الرطب في اوطانه حطب

ومنه

اذا ما نبت بالحر دار يودها ولم يرتحل عنها فليس بندي حزم
وهبه بها صبا ألم يدر أنه سيزعجه عنها الحمام على رغم
ولم يكن الدنيا تضيق على فتى يرى الموت خيراً من مقام على هضم

ومنه

وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع فقلت ولكن موضع الرزق ضيق
اذا لم يكن في الأرض حري عيني ولم يك لي كسب فمن اين ارزق

ومنه

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفها ان ضاق رزق تجد في الأرض مقترحا
قلت انظروا الريق في الأفواه مختزنا عذبا فان بان عنها صار مطرحا

ومنه •

عوّد ركابك كل يوم منزلا وتنقان كي لاتمل وتضجرا
فالما يعذب ماجرى وتلاطمت امواجه فاذا أقام تغيرا

ومنه

اذا أنا لم اجد رزقا حلالا ولم آكل حراما مت جوعا

ومنه

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وائى مهند لا يغمد

ومنه

لم ينصبوا بالشاد ناج صبيحة ال
انثين مسبوفا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم
شرفاً وملء صدورهم تبجيلا
ماضره ان بزعنه لباسه
فالسيف اهول ما يرى مسلولاً

ومنه

لا ينبغي للضيف ان كان ذا
حزم وتدبير وطبع لطيف
ان يتعدى أبداً طوره
ولا يرى الا بحكم المضيف
فالأمر للانسان في بيته
ان شاء ان ينصف او ان يحيف
وانما ينقض أحكامه
عليه ذو جهل وعقل سخيف

ومنه

اذا شئت ان تستقرض المال منقماً
على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها
عليك وارفاقاً الى زمن اليسر
فان قبلت كنت الغني وان ابت
فكل منوع بعدها واسع العذر

ومنه

اذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً
فكن عبداً للمالكة مطيعاً
وان لم تملك الدنيا جميعاً
كما تختار فاتركها جميعاً
هما سببان من ملك ونسك
ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشيء
سوى هذين عاش بها وضيعاً

ومنه

يا أيها العالم لا تشتكي
فالحذق محسوب من الرزق
العلم لا يسلبه اهله
والمال مسلوب من الخلق

ومنه

المال اشرف ما اقتنيت فلا تكن
سمحاً به وتأث في تفصيله

ما صنف الناس العلوم بأسرها الا ليحتالوا على تفضيله

ومنه

احمد الله كم اجود في الدهر ر مقالا وما يفيد المقال
كلبي في الانام سحر ولكن انا والسحر باطل بطل

ومنه

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله وليس لهم حتى النشور نشور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وأجسادهم قبل القبور قبور

ومنه

من ظن ان الغنى بالمال يجمعه فاعلم بأن غناه فقده أبدا
فاستغن بالعلم والتقوى وكن رجلا لا ترتجى غير رزاق الورى أحدا

ومنه

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتقطع

ومنه

انى تركت لذي الورى دنياهم وظللت انتظر المات وارقب
وقطعت عن نفسى المطامع ليس لى ولد يموت ولا عقار يخرب

ومنه

يقولون لى فيك اتقباص وانما رأوارجلا عن موقف الذل احججا
ارى الناس من دانا هم هان عندهم ومن اكرمه عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لى يستفزني ولا كل من لافيت ارضاه منعبا
واني اذا ما فاتنى الامر لم اب اقلب طرفي اثره متندما
ولكنه ان جاء عفواً قبلته وان مال لم اتبعه لولا وربما

وأقبض خطوى عن أمور كثيرة إذا لم انلها وافر العرض مكرما
واكرم نفسى ان أضاحك عابساً وان أتلقى بالمدح مذمما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أدالوه فهان ودنسوا محياه بالاطلاع حتى تجها
أشقى به غرساً وأجنيه ذلة اذن فاتباع الجهل قد كان احزما

ومنه

لا يحطن رتبى سوء حالى آية الحسن فى الجفون السقام
انا كالنار اطفأ القطر منها ولها بعد نفخة اغتلام

ومنه

أصبحت مثل السيف ابلى غمده طول اعتلاق نجاهه بالمنكب
ان يعتليه صدا فكم من صفحة مصقولة للماء تحت الطحلب

ومنه

وأنت السيف ان تعدم حليا فلن تعدم فرندك والفرار
ورب مطوق بالتبر يكبو بصاحبه وللرهج اعتبار

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ فى وصايا يستضاء بها فى ظلمات الفلاكة وبهذا الفصل نختم الكتاب ان شاء الله تعالى ﴾
اعلم يا أخى فى الوفا وأخوة المصطفى خصوصاً المفلوك مثلى ان فى الكلمات النفسانية
لذة تزيد على اللذات الجسدية فلا تستصغرن نعمة الله فيها متى زويت عنك الدنيا
واستحضر قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله يعطى الدنيا لمن يحبها ولن لا يحبه ولا يعطى
الدين الا لمن يحبه وان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما ورثوا العلم فمن أخذ منه
فقد اخذ بحظ وافر » وانظر كيف يكون استجلاء لطائف العلوم شاغلا عن الاكل والوقاع
أفتراه يكون دونها لذة وهو شاغل عنها وعليك من العلوم بالكتاب والسنة والتمتع بما

فيهما من النكات واللطائف واستمد منهما برد اليقين وثلج الصدور ولا تقنع بالعلوم العقلية فانها ماساء مزية الاقدام واصحابها يضطربون فيها اضطراب الارشية - هذا الامام فخر الدين على جلالته و امامته يصحح في بعض كتب ما يضعفه في الآخر وابلغ من ذلك ان ابن الراوندي سامحه الله صنف رسائل في خلق الاعمال وفي قدم العالم وغيرها ثم صنف هو نفسه رسائل في رد ذلك كما ذكره صاحب الفهرست ولا تجمع لنفسك بين قبح الظاهر وهو الفقر وقبح الباطن وهو الجهل وسع الناس باخلاقك ومعارفك ان لم تسعهم بمالك ومعروفك واجتنب الاساءة اليهم ان عجزت عن الاحسان لهم وخذهم بالرجاء لانه ايسر ولا تأخذهم بالخوف وان كانوا به اطوع لانه اخطر وارض بميسورهم وعظم حقيرهم فلا يحصل للنفوس مقصودها الاخالقها فلا تطالب المقصود الامنه واجعل باطنك وحده لله وكن شديد الاستهانة بأمور الدنيا ضراً ونفعاً عطاءً ومنعاً حصولاً وفواتاً سلامة وآفاتاً وانظر الاصلح لنفسك من ذلك قبل وقوعه وبعده فتوخه واجتهد فيه ولا تكن وكلا بل متحرراً ككيساً ورقع خرق عجزك وفلا كتك بجيالك ومصابرتك والتعرض لتنفيذات الدهر والوثوب عند الفرصة ولا تياس من روح الله قال صلى الله عليه وسلم «ان لله في أيام دهركم نفحات لا فتعرضوا لها» قال تعالى «انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون» قال الشاعر

والعاجزان الغالبان معاقب لا ينتهي ومعاتب لا يخجل

(وقال)

ثب على الفرصة في موضعها فهي لا تبق ولا تستكسب
واقطع بان ذرة من حظ خير من قنطار عقل وان جزءاً واحداً من المال خير
من أجزاء كثيرة من الكمالات النفسانية والله درّ من سعى المال كمال الكمالات
وتحقق ان المعاصي كالسموم يضر قليلاً وكثيرها مع الاستخفاف بها ومع تعظيم ارتكابها
وجليها وخفيها فلا تغتر بالتستر والحيلة فان لله عيوناً من الملائكوت ناظرة اليك وان
للطاعات عباقاً وشذاً تفوح على أهلها وان كتموها والمعاصي تنناً وذفراً تفوح على أهلها
وان أخفوها واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس وخذ الناس الي

أغراضك بمصالحهم تحقيقاً أو توهياً فان النفوس تنخدع بالباطل كما تنخدع بالحق ولا تأخذهم بغررك المحض فقلما يساعفونك به الا عوضاً عما سلفتهم من غرض لهم سابق وكن تواباً رجاءاً أو اباً الى الله عظيم الالتجاء اليه والاستعانة بقوته و باهر قدرته متملقاً له خاضعاً لجلاله وكن كثير الدعاء والالفاظ باسمائه تعالى وله الحمد فان الدعاء نسبته الي استجلاب المطالب كنسبة الفكر الى استدعاء المطلوب العلمي قال صلى الله عليه وسلم «الظوايا ذا الجلال والاكرام» قال تعالى «قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم» واياك اياك من التعويل على واحد بخصوصه من البشر والقاء الشراشر عليه فان من ألقى شراشره على غير الله وكله وما اختاره لنفسه وأنهاك أنهاك عن التوقيف على بواطنك وخفاياك وأمرك أمرك بسد طريق العلم بذلك جهدك وتكثيف حجابها ما أمكن وكن مع الناس بلسانك وظاهرك من كلاتهم الدنيوية التي يعتقدونها كمالا فان الدنيا قد صارت مخارق بلا حقائق وثم أمور لا يمكن التصريح بها ولا تتم بالتلقين وأنا أسأل الله أن يوقفك لها ويوقفك على حقيقتها

(هذا) آخر ما تيسر لي كتابته في هذا الغرض مما سهل مما حضر وفي النفس من معاودته وبسط القول فيه فان هذا الكتاب انما وضعته مسودة وانموذجاً وبرنامجاً في هذا المطلوب وفتحاً لباب عسى أن يلج فيه من حركة الله لذلك ولم أدر فيه مما حضرني الا ما خفت على الكتاب من كساده به لغموضه وكونه من الحكمة الضرورية أو من مشكلات غيرها من العلوم فيعسر فهمه أو ينتقده من لا يقف على حقيقة معناه أو لكونه تاريخاً محضاً فيصير الكتاب به أدبياً لا علمياً ولم نتسع المادة بمجانس لما أوردته ازيد مما ذكرته لاني زحمت به بالخالخلة ولزمت به لزا بين عوائق النفسانية وشواغلي البدنية مع قلة الكتب وعدمها وما احق هذا المقام بقول القائل

ولست بأول ذي همة دعت لما ليس بالنائل

يشمر للبحر عن ساقه ويفمره الموج في الساحل

وانا أستغفر الله تعالى واتوب اليه مما لعله فيه مما هو من قبيل الشقشقة والطنطنة او من قبيل التمويه والسفسطة او من حكم لم يصادف الحق او قول لعله لم يوافق

مرضاته سبحانه وله الحمد أو من نية لعلها لم تخلص لله أو مقصد مزج بغير ارشاد شرعي أو من تعليل الامور بالمقاصد الدنية الدنيوية وأستقيله العثرة في ذلك كله وأستوهبه المعذرة وأستمنحه المغفرة وأبرأ اليه من ذلك كله لا اله الا هو ولا غافر سواه

(اللهم) يا رحمن يا رحيم يا واسع يا عظيم يا ذا الفضل العميم والمنّ الجسيم يا معطيّاً قبل السؤال وعالمّاً بالحال اسألك بأسمائك كلها وصفاتك اجمعها وبكل ما اذا دعيت به اجبت ان تكشف عنا ضرر الفلاكة والاهمال والحرمان وان تصرفنا عن مواقع الشر والخذلان وان تحفظ أنستنا وقلوبنا من الشيطان وان تكلأنا بالتوفيق وتؤيدنا بالتكاملان يا رحيم يا رحمن لا حول ولا قوة الا بك يا على يا عظيم (اللهم) اني اشكو اليك ضعف حيلتي وقلة قوتي وهواني على الناس رب المستضعفين وربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى لكن رحمتك أوسع لي (اللهم) اقبل معاذيرى وتجاوز عن تقصيري ولا تتركنى حقيراً ولا تسلط علىّ تغييراً واجعل لى من لذك سلطاناً نصيراً (اللهم) قدرفت يدي اليك فلا تردها صفرأ (اللهم) ضع فيهما من خيرك وبركتك

ما أنت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب

فاليوم حاجتنا اليك وانما يدعى الطيب لساعة الاوصاب

(اللهم) انقطع الرجاء الا منك وحصل اليأس الا من رحمتك لا تعكس ظناً قد عول على فضلك لا تخيب أملا طال تعلقه بك أعتق عنقاً مدّ اليك من رق غيرك فك اسيراً لا يملك فكاكه الا أنت (اللهم) ليس على عطائك عائق ولا يعجزك شئ فلك القدرة الكاملة والرحمة الواسعة والحكمة البالغة وكلتا يديك سخاء ولا ينقص فيضك العطاء وتستحي من تخيب أمليك غاية الحياء وعلمك قد أحاط بما فى الارض والسماء وبما فى الظواهر والضمائر من الجلاء والخباء انظر الينا منك بنظرة رحيمة ربنا مسنا ضر نفوسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لا اله الا أنت سبحانه انى كنت من الظالمين سمع الله نظر الله سبحانه الله آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم